إبطال دعوى
الخروج
ليأجوج ومأجوج

لفضيلة الشيخ :
عبد الكريم بن صالح الحميد

ⓗ عبد الكريم بن صالح الحميد ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحميد عبدالكريم بن صالح
إبطال دعوى الخروج ليأجوج و مأجوج. / عبدالكريم بن صالح الحميد . ـ بريدة , ١٤٢٤ هـ
١٠٣ ص ؛ ٢٥ سم
ردمك : ٨-٨١٩-١٠-٩٩٦٠

١- السمعيات ٢-علامات القيامة أ.العنوان
ديوي ٢٤٣ ١٤٢٤/٥١٠٩

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٥١٠٩
ردمك : ٨-٨١٩-١٠-٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وجميع المرسلين .

أما بعد فإني قد اطلعت على نسخة طبعت في العام الماضي ١٤١٨هـ هجرية عنوانها: " يأجوج ومأجوج " للشيخ عبدالرحمن السعدي موضوعها تقرير أن يأجوج ومأجوج قد خرجوا وظهروا وأنهم الروس والصين وأمريكا والإفرنج وماتبعهم.

ومقالته هذه ذُكر لي أنه كتبها في تفسيره وأنه رُوجع في ذلك وأُنكر عليه في وقتها ثم لا أدري ماذا حصل بعد ذلك وقد اشتهرت هذه المقالة لكن الذي أحاط به علمي أن كل من ذكرها في هذه السنين الماضية إنما يذكرها على سبيل الإنكار والتعجب وما علمت أنها قُوبلت بالقبول من أحد لظهور بطلانها وهو قد كتبها عام ١٣٥٦هجرية .

والمراد هنا أن هذه المسئلة قدْ بُعثت الآن في نسخ مستقلة مطبوعة في " دمنهور " وصلتني منها نسخة فأردت أن أكتب فيها

مايتيسّر بمعونة الله .

وهي وإن كانت منذ ستين سنة من البضائع الكاسدة فالأمور قد اختلفت في وقتنا فكم وكم من بضائع كانت كاسدة في ذلك الزمان راجت في زماننا رَوَجاناً يكاد لا يُصَدَّق به .

وهو قد ذكر عشرة أدلة يستدل بها على ظهور يأجوج ومأجوج.

ليس فيها دليل واحد يؤيّد ويصدّق ما ذهب إليه وقال قبل ذلك : الخبر عن يأجوج ومأجوج ورد في الكتاب والسنة وماهم عليه من الصفات التي وصفها الله ورسوله فظهرت واتضحت فوصلت إلى درجة اليقين حين تطبق عليها الأدلة الشرعية والبراهين اليقينية والعلم بالواقع . ويوجد كثير من المؤمنين يتوهّمون ويظنون ويعتقدون أن يأجوج ومأجوج أنهم إلى الآن لم يظهروا ولم يعثر عليهم أحد ولم يبرزوا إلى الناس وأنهم وراء السّد أو الرّدم الذي بناه ذوالقرنين وأنهم أمم عظيمة أضعاف أضعاف الموجودين الآن في الأرض من الآدميين .

بطلان دعوى ظهور يأجوج ومأجوج

والجواب على هذا الكلام أن زَعْم انطباق الأدلة الشرعية والبراهين اليقينيه على ظهور يأجوج ومأجوج دعْوى لم يستطع أن يُقيم عليها حجة صحيحة كما سيتبين هذا إن شاء الله عند ذكر أدلته .

أما الذين يعتقدون أن يأجوج ومأجوج لم يظهروا فاعتقادهم ليس عن تَوَهّم وظنون وإنما هو عن علم يقيني لايتطرّق إليه الشك قدْ علموه من ميراث نبيهم صلى الله عليه وسلم .

أما كَوْنهم أضعاف أضعاف الموجودين الآن في الأرض من الآدميين في جميع جهات الأرض وفي كل قارّاتها الست المعروفة فكل هؤلاء عند هؤلاء الناس أقلّ بكثير عدداً بالنسبة إلى يأجوج ومأجوج الذين هم موجودون في الأرض وهذا الظن غلط محض ويُسَبّبه عدم فهْم ماجاء به الكتاب والسنة على وجهه في هذه المسألة وعدم العلم بالواقع . هذا كلامه .

كثرة يأجوج ومأجوج

والجواب أن من قال بكثرتهم لم يقله عن ظن وليس هذا غلط بل الغلط خلافه وليس سببه أيضاً عدم فهْم ماجاء به الكتاب والسنة بل سببه فهْم ذلك فإنه قدْ ثبت في الصحيحين أن الله تعالى يقول :

يوم القيامة : يا آدم قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول : يارب ومابعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة . فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . قالوا : يارسول الله أيّنا ذلك الواحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أبشروا فإن منكم واحداً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً " وفي رواية . فقال : أبشروا فإن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه " .

قال ابن كثير في البداية والنهاية ١٠٩/٢ : أي غلبتاه كثرة وهذا يدل على كثرتهم وأنهم أضعاف الناس مراراً عديدة .

إنتهى.

فقد تبين أن اعتقاد كثرتهم ليست من الأوهام والظنون ولايحتاج هذا الحديث إلى تعليق .

ودليل آخر على كثرتهم ماورد في حديث النواس بن سمعان وهو في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله تعالى يوحي إلى عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال أني أخرجت عباداً لي لايَدَان لأحد بقتالهم فحرّز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمرّ اولهم على بحيرة طبريه فيشربون مافيها ويمرّ آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه ماء . الحديث .

أنظر قوله : لايدان لأحد بقتالهم مما يدل على كثرتهم وكوْن بعضهم يشربون ماء بحيرة طبريه كله حتى أن آخرهم لايجدون فيها شيئاً .

فكيف تُسْتكثر كثرتهم وقد وردت السنة الصحيحة بذلك ؟

ويقال : وهذا الظن غلط محض ويسببه عدم فهم ماجاء به الكتاب والسنة ؟

كذلك فقد يكونون الآن أقلّ عدداً مما ورد في الأحاديث ويكون تكاثرهم وتناسلهم فرب وقت خروجهم .

وأنا ما علمت دليلاً ينفي هذا لأن الأحاديث المخبرة عن كثرتهم حين خروجهم ويوم القيامة . وهذا والله أعلم لايلزم منه أن يكونوا قبل ذلك بتلك الكثرة . ومن عنده علم بهذا فليخبرنا به .

أقول هذا ولا أشك أنهم لو كانوا أضعاف ماذكر صلى الله عليه وسلم أن الله قادر على إبقائهم وسترهم عن الناس إلى حين خروجهم .

يأجوج ومأجوج غير الكفار من الروس والصين وغيرهم

ثم أنكر السعدي على من يقول : إن يأجوج ومأجوج غير الأمم الموجودة في أقطار الأرض المعروفين من الروس والصين واليابان والفرنج وأمريكا وغير سكان آسيا وسكان أفريقيا وسكان أوروبا وسكان أمريكا الجنوبية وأمريكا الشمالية وغير سكان إستراليا وتوابع هؤلاء .

ثم قال منكراً على من يقول إنهم غير هذه الأمم قال : فيأجوج ومأجوج عند هؤلاء أمم غير هؤلاء وهم في الأرض وهم أكثر من المذكورين أضعافاً مضاعفة وأنهم إلى الآن لم يُعثر لهم على خبر وأما من تدبّر أوصافهم في الكتاب والسنة الصحيحة الصريحة وطبّق على الواقع فإنه لايشك ولايَسْتريب أنهم هؤلاء الأمم أو بعضهم وأن ظهورهم على الوصف الذي وُصِفوا به في الكتاب والسنة من أعظم الآيات والأدلة على صدق ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم وان الأوصاف المذكورة في الكتاب والسنة الصحيحة منطبقة عليهم أشد الإنطباق .

الجواب : قد تقدم ذكر بعض حديث النواس بن سمعان وفيه أن خروج يأجوج ومأجوج بعد نزول عيسى بن مريم وبعد قتله الدجال وهذا الدليل الواضح الجلي لاتعارضه مثل هذه الآراء ولا يلتفت إليها معه . ويأتي إن شاء الله من الأدلة غيره .

كذلك فإن في هذا الحديث أن عيسى عليه السلام وأصحابه يدعون عليهم فيهلكهم الله . وهذا يبين أنه لايمكثون طويلا مثل هذه الأمم ولا قريب من ذلك .

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لقيت ليلة أسري بي إبراهيم " . وفيه قول عيسى عليه السلام : " وفيما عَهِد إلي ربي عز وجل أن الدجال خارج ومعي قضيبان فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص قال : فيهلكه الله إذا رآني حتى أن الشجر والحجر يقول : يامسلم إن تحتي كافراً فتعال فاقتله قال : فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون " وفي آخر الحديث قول عيسى : " ففيما عهد إلي ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل الْمُتِمّ لايدري أهلها متى تفاجئهم بولادها ليلاً أونهارا " رواه الإمام

أحمد وابن ماجه وابن جرير والحاكم وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه .

ففي الحديث بيان أن خروجهم بعد نزول عيسى وبعد قتله الدجال وأن مكثهم قليل حيث يهلكهم الله بدعاء عيسى عليه السلام كما تقدم وحيث أن الأمر قد اقترب جداً بظهور هذه العلامات الكبار ولذلك وَصَفَ عيسى عليه السلام الساعة بالحامل المتمّ لايدري أهلها متى تفاجئهم وأن هذا مما عهد إليه ربه .

صفات يأجوج ومأجوج مخالفة لصفات هذه الأمم

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض صفات يأجوج ومأجوج بما يخالف أكثر الأمم الذين ذكرهم السعدي وذلك فيما رواه الإمام أحمد والطبراني عن ابن حرمله عن خالته رضي الله عنها قالت : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب أصبعه من لدغة عقرب فقال : " إنكم تقولون لاعدو وإنكم لاتزالون تقاتلون عدوا حتى يخرج يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعاف من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرّقه " رواه الإمام أحمد والطبراني . قال الهيثمي : ورجالهما رجال الصحيح . الشعاف الشعور .

دليلـــــه الأول

والآن ننظر في أدلته العشرة قال : الدليل الأول : وذكـر فيـه قصة ذي القرنين وبنائه الـردم بـين يـأجوج ومـأجوج وبـين القـوم الذين شكوْا إليه فسادهم وأذيّتهم ثم قال : فهــذه الآيـات الكريمـة صريحة بأن يأجوج ومأجوج من الآدميين كما ثبت بذلك الحديث الذي في الصحيحين وسنذكره إن شاء الله .

والجواب : أن كوْنهم من الآدميين ليس موضع الإنكار وإنمـا الشأن في تقريزه خروجهم وأنهم هذه الدول التي ذكر .

يأجوج ومأجوج ليس لهم مخترعات

بعد ذلك ذكر الردم وأنهم لايستطيعون أن يظهروا عليه ولا أن ينقبوه كذلك لايستطيعون الصعود على سلاسل الجبال الشاهقه يعني التي عُمل بينها الردم ولا النفوذ من وراء البحار قال : فمكثوا على ذلك مدداً طويله وهم منحازون في ديارهم وأماكنهم لاسبيل لهم إلى النفوذ من تلك الحواجز والحوائل لعدم الأسباب التي تمكّنهم من ذلك ثم بعد ذلك بمدد تَرَقّت الصناعات وقويت المخترعات وتنوّعت الآلات والأسباب التي مكّنتهم من النفوذ بينما لم يمكنهم ذلك في وقت النبي صلى الله عليه وسلم حين قال الحديث الذي ثبت في الصحيحين : " ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلّق الإبهام والسبابه " .

الجواب : الردم الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في موضع محدّد بين جبالهم فلوْ كان أهل تلك البلدان التي ذكر هم يأجوج ومأجوج وأنهم بترقي الصناعات وقوة المخترعات يخرجون على العرب لما كان لتعيين موضع السّد معنى كيف وقد قال

تعالى: ﴿ فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً ﴾ .

قال ابن كثير : أي سَاوَاه بالأرض وقال عكرمة : دكاء طريقا.

فهذه البلدان التي زَعَم أقطار متباعده في كل ناحية من الأرض فأي فائدة إذاً في تعيين موضع السّد وأنه سُدّ عليهم وأنهم يخرجون منه .

وتأمل قوله : فمكثوا على ذلك مدداً طويله وهم منحازون في ديارهم وأماكنهم لاسبيل لهم إلى النفوذ من تلك الحواجز والحوائل يعني الردم وماحوله من الجبال الشاهقه فيقال : أنت ذكرت الصين وأمريكا واليابان وغيرها مما هو في أقطار الأرض المتباعدة في المشارق والمغارب فكيف يحجزهم هذا الردم إلى أن تمكنوا من الصناعات والمخترعات وجاءوا بالطائرات كما سيأتي كلامه هذا وهل يحجز هذا الردم هذه الخلائق المنتشرة في الأرض؟.

الردم يحجزهم ويحول بينهم وبين الخروج

بل الحقيقة التي لاشك فيها أن يأجوج ومأجوج كما أخبر الله عنهم ورسوله غير ماذكر وأن الردم يحول بينهم وبين الخروج وأنه بعد نزول عيسى وقتله الدجال يجعل الله هذا الردم مساوياً للأرض فلا يخرجون إلا معه . وكلام الله وكلام رسوله ينزه عن غير هذا من التكلفات والتأويلات التي لا تليق .

وهو بعد أن ذكر السد وإحكامه ذكر حديث " ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلّق الإبهام والسّبابه " والحديث حجة عليه فالنبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن الردم أنه فتح منه في زمنه هذا المقدار وفي القرآن : ﴿ فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء ﴾ الآية وذلك لأن يأجوج ومأجوج خلف هذا السد ولايخرجون إلا منه ولايخرجون إلا وعيسى في الأرض كما ورد في الأحاديث الصحيحة . وقد أخرج الإمام أحمد والترمذي وحسّنه وابن حبان والحاكم وصححاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم

حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم : إرجعوا فتخرقونه غداً فيعيده الله أشد ماكان حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم : إرجعوا فتخرقونه غداً إن شاء الله تعالى واستثنى قال : فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس " قال ابن العربي : في هذا الحديث ثلاث آيات :

الأولى : أن الله تعالى منعهم أن يوالوا الحفر ليلاً ونهاراً .

الثانية : منعهم أن يحتالوا للرقي على السّد بنحو السّلم والآله فلم يلهمهم ذلك ولا علّمهم إياه مع أنه ورد أن لهم أشجاراً وزروعاً.

الثالثة : أن صدّهم أن يقولوا : إن شاء الله حتى مجيء الوقت المحدود .

قال السيوطي بعد ذكر الحديث وكلام ابن العربي عليه قال: قلت : وأخلّ بالآية الرابعة وهي أعظمها وهي عَوْد السد بعد الحفر حتى إذا كادوا أن يروْا شعاع الشمس عاد إلى أشد ما كان إلى أن يبلغ الكتاب أجله . وقدْ يقال : إن فيهم من يعرف الله تعالى ويقرّ بقدرته ومشيئته ويحتمل أن تكون كلمة المشيئة جرت

على لسان ذلك الوالي من غير أن يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها . وذكر نحو ذلك ابن حجر .

قــول بـلا علـــم

وقال : وذلك والله أعلم حين سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ودعوته وأنهم يعني النبي والصحابة شارعون في فتح البلدان فعزموا على مقاومتهم وعملوا الأسباب لذلك فلم تزل تتهيأ لهم الأسباب حتى انفتحوا من كل مكان فبرزوا من فوق رؤوس الجبال ونفذوا فوق متون البحار وصعدوا في جو السماء فكان هذا مصداقاً لخبر الله ورسوله .

الجواب : كلامه هذا مبني على اعتقاده أن يأجوج ومأجوج هذه الدول وقد ظهر بطلانه ونزيده إن شاء الله وضوحاً . وقوله هنا: حتى انفتحوا من كل مكان تأويل فاسد ففي القرآن وأحاديث الرسول أن الذي ينفتح لخروجهم هو السّد فكيف يقول: من كل مكان ؟ قال تعالى : ﴿ **فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا** ﴾ ثم ذكر أنه لايلزم من خروجهم أن يرى الناس الردم قد انهدم وذكر أن المقصد من خروجهم قد حصل .

الجواب : أنه على مقتضى اعتقاده لا داعي للردم أصلاً فكل يعلم أنه لا يحجز الدول التي ذكر وليس طريقهم منه فهو يقرّر أنهم يأتون من كل مكان حتى من جو السماء وهو عنده معنى " من كل حدب ينسلون " .

الروس والصين وأمريكا واليابان والإفرنج وهذه الدول لاتسمى يأجوج ومأجوج

وقال السعدي : فالآن قدْ شاهد الناس خروجهم من وراء هذه الجبال والبحار . ألا ترى سلاسل جبال آسيا وأوروبا وغيرها قدْ خرجوا من ورائها والبحر الأسود والأبيض والمحيطات من كل جانب قدْ عبروها ونفذوا من ورائها بعد ما كانوا منحازين في ديارهم غير متمكنين من الخروج فعُلم من ذلك أن يأجوج ومأجوج هم هؤلاء . الأمم الروس والصين وأمريكا والإفرنج وماتبعهم .

الجواب : الذي في الكتاب والسنة تعيين موضع السد وأما ماذكره من الجبال والبحار فهو تحريف لكلام الله وكلام رسوله فيأجوج ومأجوج محجوزين خلف السّد ولا يخرجون إلا منه كما ورد في الكتاب والسنة وتفسير القرآن بالرأي فيه وعيد لايخفى .

كذلك فإن الروس والصين وأمريكا وغيرهم ممن ذكر لايسمّون يأجوج ومأجوج . والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر الروم وفارس وغيرها مما ورد في الأحاديث ذكرها بأسمائها وذكر

بعض البلدان بأسمائها وكلامه أفصح الكلام وبيانه أتم البيان . وكيف يُعرفون إذا غيّرت أسماؤهم ؟ كذلك فإن الذي ورد في الحديث أن يأجوج ومأجوج أمتان ففي الحديث الذي في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال " أبشروا فإنكم في أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج " والسعدي جعل يأجوج ومأجوج أمماً كثيرة .

فهم أمتان إسم إحداهما : يأجوج والأخرى : مأجوج .

خروجهم من العلامات الكبرى للساعة

ثم إن خروجهم من علامات الساعة الكبرى التي لم تظهر بعد وليس خروجهم أول العلامات الكبرى بل قبل ذلك المهدي وعيسى والدجال كما هو مصرّح به في الأحاديث الصحيحة ففي صحيح مسلم حديث حذيفة بن أسيد الغفاري قال : إطّلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال : ما تذكرون ؟ قالوا: نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى تَروا قبلها عشر آيات . فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب . وآخِر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم .

وفي قصة الإسراء من حديث عبد الله بن مسعود : وفيه أن عيسى عليه السلام ذكر خروج الدجال قال : فأهبط فأقتله ويرجع الناس إلى بلادهم فتستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرون بماء إلا شربوه ولايمرون بشيء إلا أفسدوه " الحديث . رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي وغيرهما .

فهذه الأحاديث وغيرها تحدّد زمان خروجهم وتبين أنهم من علامات الساعة الكبرى ولم تأت بعد .

والأمم التي يذكر السعدني لم يحجزها السد الذي عمل ذوالقرنين وليست وراءه بل في المشارق والمغارب .

دليله الثاني

قال : الدليل الثاني : قوله تعالى : ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ﴾ قال : أي حتى إذا انفتحوا على الناس فبرزوا بعدما كانوا منحازين في ديارهم وذكر من جنس كلامه السابق : فإنهم في جميع أقطار الدنيا قد انفتحوا على الناس وأتوهم من كل جانب ثم ذكر كوْنهم " ينسلون " أي يسرعون بالطائرات التي جابت مشارق الأرض ومغاربها .

الجواب : يكرر كلمة انفتحوا ليوافق هذا اللفظ ما ادّعاه من أنهم هذه الدول والذي في القرآن " فُتِحَتْ " وفي الحديث "فُتِحَ" وهذا المعنيُّ به السد . والفاعل هو الرب عز وجل إذا اقترب الوعد الحق .

الإنقلاب الصناعي الذي حصل لهذه الدول فتنة لهم ولغيرهم

قال : فإذا لم يَصْدُق عليهم هذا الوصف فمن تراه يصدق عليه؟ وإذا لم ينطبق عليهم هذا النعت فأخبرني بمن ينطبق عليه ؟

الجواب : أما أن هذه الدول الهمجية الكافرة صارت من حين أَحْدَثت هذه الآلات والمخترعات فتنة لا تقاس عليها أي فتنة منذ أهبط الله آدم إلى الأرض لا بكميتها ولا بكيفيتها وأنهم اجتاحوا المشارق والمغارب وأفسدوا في الأرض فساداً عظيماً لايُحدّ وصفه فهذا صحيح . والكلام عليه أطول من أن يُساق هنا بل وأعظم من أن يحيط به سوى من بعثهم وسلّطهم وإنما الشأن هنا أن يُجعلوا هم يأجوج ومأجوج فهذا ظاهر البطلان تردّه نصوص الكتاب والسنة .

فتنة الدجال لاتختص بوقت خروجه

إن الذي بَهَرَ السعدي وغيره كثيرون بَهَرَهم ماظهر على أيدي هؤلاء الكفرة من الصنائع والخوارق التي ماعهدوا لها مثيلاً. وقد بينت في " مقدمات الدجال " شأن هذه الخوارق وأنها فتنة الدجال ونقلت كلام شيخ الإسلام هناك عن فتنة الدجال وأنها لاتختص بشخصه فقط وقت خروجه وإنما هي الباطل المخالف للشريعة المقرون بالخوارق فمن سَلِم منه سلم من فتنته . وهذا يوجد في كل زمان لكن ظهوره على أيدي هؤلاء ماسبق له نظير وهو جَدّ خطير حيث طبّق الأرض بشرّه المستطير . وهو مُؤْذِنٌ بقرب خروج الدجال الذي يفتن الناس بخوارقه العظام فهم مقدّمة لهذا اللعين يُهوّنون الفتنة بخوارقه ويعظمونه في صدور المفتونين . فَتَهْوينهم لخَوَارقه بتقدّم خَوَارقهم تمهيداً وتَوْطئة وحتى لاينفر ويُنكر من يريد الله فتنته وشقاءه .

وأما تعظيمهم له فإنه كلما كان الشخص عندهم أكبر خَوَارِقاً كلما كانوا له أشدّ تعظماً . وبلاؤهم لم يقتصر عليهم بل صارت سَنَنَهم متبوعة في الأرض كلها .

نَسَلان يأجوج ومأجوج

ثم قال : وفي هذه الآية الكريمة يعني قوله تعالى : ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ﴾ برهان ودليل باهر على الإخبار بحدوث هذه المخترعات التي وصلوا بها إلى هذه الحال لأن إخبار الله ورسوله بشيء إخبار به وبما لايتم ذلك إلا به وذلك أنه لايحصل تمكنهم من الإسراع والنسلان من كل حدب إلا بالصنائع الراقيه والمخترعات المدهشه .

الجواب : قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله : ﴿ من كل حدب ينسلون ﴾ أي يسرعون في المشي إلى الفساد . والحدب هو المرتفع من الأرض قاله ابن عباس وعكرمة وأبوصالح والثوري وغيرهم وهذه صفتهم في حال خروجهم كأن السامع مشاهد لذلك ﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴾ هذا إخبار عالم ما كان وما يكون الذي يعلم غيب السموات والأرض لا إله إلا هو . إنتهى فهم يمشون على أقدامهم مسرعين .

ونقل عن ابن جرير أنه قال : حدثنا محمد بن مثنى حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا شعبه عن عبدالله بن أبي يزيد قال : رأى ابن عباس صبياناً ينزوا بعضهم على بعض يلعبون فقال ابن عباس : هكذا يخرج يأجوج ومأجوج .

لاتوجد المخترعات زمان المهدي وعيسى ويأجوج ومأجوج

أما نفيه أن يحصل تمكنهم من الإسراع والنسلان من كل حدب إلا بالصنائع فظاهر الفساد حيث يمكن بدون هذه الصنائع وهؤلاء مسلّطون . ثم إنه لما رأى هذا الرأي المخالف وقع في تخبيط لايليق فهو يريد أن يصرف معاني الآيات والأحاديث على مارآه هو وهي لا تطاوعه ولذلك فَاتَهُ أنه حين وقت خروج يأجوج ومأجوج الحقيقي لا يوجد من هذه الصنائع والآلات شيء بل قبل خروجهم فالأحاديث التي فيها ذكر المهدي لاتذكر فيها هذه المخترعات وإنما تذكر فيها الخيول والسيوف كذلك فإن عيسى عليه السلام يقتل الدجال بحربة لا برشاش ولا بندقية كما ورد في الأحاديث فالذي لاشك فيه ان هذه المخترعات سوف تنتهي كما بدأت وهي قامت على غير أصول ثابته وروحها الكهرباء والبترول فلو قُطع عنها هذا المدَد انقطعت حركاتها وأفعالها بالكلية .

والمراد هنا أن يأجوج ومأجوج يخرجون على قوم مثلهم

لايستخدمون هذه الآلات لانعدامها إما بالحروب المدمّرة أومايشاء الله . كذلك فقد ورد في الحديث استعمالهم النشاب مما يبين عدم استعمالهم لهذه المخترعات .

دليلـــه الثالـــث

قال السعدي : الدليل الثالث : ماثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :"يقول الله : ياآدم فيقول : لبيك وسعديك. فيقول : أخرج من ذريتك بعث النار " وذكر الحديث ثم قال :

فهذا الحديث صريح أنهم من ذرية آدم وسيأتي كلام أهل السِّيَر والتاريخ أنهم من ذرية يافث بن نوح وأن الترك طائفة منهم وأنهم سُمّوا ترْكاً لأنهم تُركوا خلف ردم ذي القرنين كما ستأتي الإشارة إليه .

وهذا الحديث مطابق لأحوال هذه الأمم الموجودين الروس والصين واليابان والفرنج وماوراءهم من أهل أمريكا فإنه وصَفهم بالكثرة العظيمة . وأما العرب وماجاورهم بالنسبة إليهم كالشعرة الواحدة بالنسبة إلى شعر جلد الثور .

الجواب : ليس الكلام في كوْنهم من ذرية آدم فهذا ظاهر من الحديث . أما أنْ يطابق الحديث أحوال الأمم التي ذكر فهذا تبين بطلانه لكن هو أخذ القدر المشترك بين ماذكر من كثرة

يأجوج ومأجوج وإفسادهم في الأرض وبين كثرة هذه الأمم التي ذكرها وإفسادهم(١) والتغافل عن الخصائص الأخرى المُمَيِّزة التي تنفرد بها كل واحدة ومن هنا يظهر الفرق .

ومِنْ إغفال هذه القاعدة أُتي السعدي . فهو رأى هذه الأمم وكثرتها وإفسادها وسرعة انتشارها وكوْنها فَجَأَتْ العالَم بهذه العجائب وذلك في وقته في بداية ظهورها فأخذ ذلك بلبّه وفنى في القَدْر المشترك بينهم وبين يأجوج ومأجوج وذهل عن مايختص به كل طرَف حيث أن وصْف الكتاب والسنة يميزهم بميزات خاصة كتمييز الدجال عن غيره من الكذابين وتمييز المهدي عن غيره من المدّعين ثم قال بعد ذلك : وَوَصَفهم بكثر الكفر وأنهم جمهور بعث النار وذلك لكفرهم وعدم إيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلّة إيمانهم بسائر الأنبياء الإيمان الصحيح فإنهم في أزمان متطاولة لايكاد يوجد فيهم إسلام ثم بعد ذلك وجد فيهم إسلام قليل جداً بالنسبة إلى كثرتهم فإذا لم يكونوا هذه الأمم فمن يكونوا ؟

الجواب كما ذكرت قبل أن الإشتراك في بعض الصفات

(١) واشتراك الطائفتين في بعض الخصائص لايوجب التعامي .

لايوجب إغفال وإهمال الصفات الأخرى والخصائص المميزة لهؤلاء وهؤلاء وبهذا يظهر الفرق . فكوْن يأجوج ومأجوج كثيرون وهذه الدول كثيرون وكوْن أولئك مفسدون وهؤلاء مفسدون وكوْن أولئك من بني آدم وكفار وهؤلاء من بني آدم وكفار هذا قدْرٌ مشترك وإنما التمييز بينهم نطقت به الأحاديث الصحيحة كما تقدم ويأتي إن شاء الله .

قال السعدي : والذي يُعارض ويظن أنهم غير هؤلاء يدّعي ويعتقد أنهم أمم أكثر من المذكورين بأضعاف مضاعفة وأنهم إلى الآن خلف السد لم يُطّلع عليهم .

كثرة يأجوج ومأجوج لاتتنافي مع وجودهم

الجواب : الذي يقول إنهم أكثر من المذكورين بأضعاف مضاعفة وأنهم إلى الآن خلف السد ليس يدّعي دعْوى وإنما هذا هو الذي أخبر به الرسول وتقدم إيراده حديث بعث النار مما يدل على كثرتهم لكن قد تكون كثرتهم بكثرة تناسلهم قرب خروجهم والله أعلم .

اكتشاف جميع الأرض دعوى بلا برهان وإلاّ فأين هم وأين الدجال ؟

قال السعدي : فبالله أين هؤلاء ؟ وأين محلهم ؟ وأين ديارهم الواسعة من الأرض ؟ وقد اكْتُشِفَتْ جميع قارات الأرض ومايتبعها من الجزائر وسيأتي إن شاء الله بيان فساد هذا الغلط والظن .

واعلم أن الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة وكلام العلماء العارفين ظاهرة ظهوراً لا ريب فيه أن يأجوج ومأجوج من الآدميين وأنهم ليسوا عالماً غيْبياً كالجن والملائكة لايشاهدهم الناس بل هم ظاهرون محسوسون مشاهدون فلا يمكن لأحد أن يقول : قد يكونون موجودين وقدْ حجب الله عنهم الأبصار فلو قال أحد هذا القول عُرف أنه خلاف الأدلة الصحيحة وخلاف الواقع وهو قول بلا علم بل قول مناف لما عُلم من الآيات والأحاديث أنهم آدميون يشاهَدون ويفسدون في الأرض ويجوبون مشارق الأرض ومغاربها وغير ذلك من صفاتهم .

جهـــة الســـد

الجواب : يقال هنا : عدم العلـم بالشـيء غير العلـم بعدمه فكوْن الإنسان لا يعلم الشيء أولا يعلم وجوده لايستلزم أن يكون هذا الشيء غير موجود . ولأجل عدم التفريق بين هذا وهـذا يقـع كثير من الخلق في أخطاء فاحشة فتجـده ينفـي مـالا يعلـم وجـوده أوحقيقته ولذلك قال تعالى : ﴿ **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه** ﴾ .

فقوله : أين هؤلاء ؟ وأين محلهم وأين ديارهم الواسعة ؟

فالذي يجب علينا الإيمان بما صَحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوْ لم تبلغه عقولنا ثم إن العلماء ذكروا جهة السد وأنه في شرقيّ الأرض في جهة الشـمال في زاويـة الأرض الشـرقية الشمالية . ذكر هذا ابن كثير في تاريخه ونقل حديثـاً قـال : ذكـره البخاري معلقاً بصيغة الجزم أن رجـلاً قـال للنبـي صلـى الله عليـه وسلم : رأيتُ السد قال : وكيف رأيتَه ؟ قال : مثل البُرْد المحبّر . فقال : رأيتَه .

وذكر ابن كثير أن الخليفة الواثق بعث رسلاً من جهته يكشفوا خبر السد وأنهم وصلوا إليه وعادوا وأخبروه عن صفته ٢/١١١ .

وقال القرطبي في قوله تعـالى: ﴿ **حتى إذا بلغ بين السدين** ﴾ قال : وهما جبلان من قِبَل أرمينيه وأذربيجان .

حجبُ الله الأبصار عن المحسوس المشاهد

أما نفي السعدي حجب الله الأبصار عنهم بدعوى أنهم ليسوا عالماً غيْبياً كالملائكة والجن وأنهم آدميون يحسّون ويُشاهدون فخطأ فاحش وغلط واضح وماهو دليله على نفي حجب الله الأبصار عن الأشياء المحسوسة المشاهدة من الآدميين وغيرهم فهذا النبي صلى الله عليه وسلم وقت خروجه مُهاجراً إلى المدينة مَرَّ على صفين من قريش واقفين ببابه وذرّ التراب على رؤوسهم وماشعرَ به واحد منهم .

وروى ابن أبي حاتم حديث أسماء بنت أبي بكر قالت : لما نزلت ﴿ **تبت يد أبي لهب وتب** ﴾ أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها وَلْوَلَة وفي يدها فِهر وهي تقول : مذمماً أَبَيْنا . ودينه قَلَيْنا. وأمره عصينا . ورسول الله صلى الله عليه وسلم[1] : إنها لن تراني وقرأ قرآناً اعتصم به كما قال تعالى : ﴿ **وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً** ﴾

---

(١) جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال : يارسول الله قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فأقبلتْ حتى وقفتْ على أبي بكر ولم تـر رسـول اللـه صلـى اللـه عليه وسلم فقالت : يا أبا بكر أُخبرت أن صاحبك هجاني قـال : لا ورب هذا البيت ماهجاكِ فولّتْ وهي تقول : قدْ علمتْ قريـش أني إبنة سيدها .

وذكر ابن كثير في تفسير سورة " يـس " عنـد قولـه تعـالى : ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً ﴾ الآية أن عكرمـة قـال : قـال أبـو جهل : لئن رأيت محمداً لأفعلنّ ولأفعلن فأُنزلت : ﴿ إنـا جعلنا في أعناقهم أغلالاً ـ إلى قوله ـ فهم لايبصرون ﴾ قال : وكـانوا يقولـون : هذا محمد فيقول : أين هو . أين هو ؟ لايُبصره . رواه ابن جرير .

وأماما حصل وقت خروج النبي صلى اللـه عليـه وسـلم مـن بيته في مكة للهجرة فقال ابن القيم في " زاد المعاد " ٥٢/٢ : وأمر علياً أن يبيـت في مضجعـه تلـك الليلـة واجتمـع أولئـك النفـر مـن قريش يتطلعون من صِير الباب ويرصدونه ويريدون بَيَاته ويـأتمرون أيّهم يكون أشقاها فخرج رسول الله صلى الله عليه وسـلم فـأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذرّه على رؤوسـهم وهـم لايرونـه وهـو يتلو ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سـدّا فأغشيناهم فهم

لايبصرون ﴾ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر .

قال ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح ص ٧١ : وكيف يستنكر من يعرف الله سبحانه ويُقرّ بقدرته أن يُحدث حوادث يصرف عنها أبصار بعض خلقه . إنتهى . وفي الآخر أنقل من كلام ابن القيم زيادة على هذا إن شاء الله . فإن قيل : هذه أشياء جزئيه صغيرة بالنسبة ليأجوج ومأجوج .

فالجواب : أن القدرة صالحة لاتحدّ بمقدار فقد تبين أن نفي السعدي لصرف الأبصار عن الأشياء المحسوسه المشاهدة باطل وهنا يتبين خطأ قوله : وقد اكتشفت جميع قارات الأرض .

وحيث أن القدرة صالحة فالأشياء الجزئية والكلية الكبيرة هي في قدرة الله سواء . والذي جرى في غزوة بدر غير ما قدّمت أعظم دليل في حجب الله الأبصار عن المحسوس المشاهد خلافاً لما زعم السعدي أن ذلك خاص بالغيبيات كالجن والملائكة .

قال تعالى: ﴿ **وإذْ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور** ﴾ .

قال ابن كثير : وهذا أيضاً من لطفه تعالى بهم إذْ أراهم إياهم قليلاً في رأي العين فيُجرّؤهم عليهم ويُطمعهم فيهم . قال أبو إسحق السبيعي عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لقدْ قُلِّلُوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي : تراهم سبعين ؟ قال : لا . بل هم مائة حتى أخذنا رجلاً منهم فسألناه فقال : كنا ألفاً . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وقوله : ﴿ **ويقللكم في أعينهم** ﴾ قال ابن أبي حاتم : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن الزبير بن الحارث عن عكرمة ﴿ **وإذا يريكموهم إذ التقيتم** ﴾ الآية قال : حَضّضَ بعضهم على بعض إسناد صحيح .

وقال محمد بن إسحق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه في قوله تعالى : ﴿ **ليقضي الله أمراً كان مفعولاً** ﴾ أي ليلقي بينهم الحرب للنقمة ممن أراد الإنتقام منه والإنعام على من أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته .

ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كلاً من الفريقين بالآخر وقَلَّله في عينه ليطمع فيه وذلك عند المواجهة فلما الْتحم القتال وأيّد الله

المؤمنين بالف من الملائكة مردفين بقي حزب الكفار " يرى حزب الإيمان ضِعْفَيْه كما قال تعالى : ﴿ **قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار** ﴾ وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين فإن كلاً منهما حق وصدق. التفسير ٢/٣١٥ فقد تبين حجب الأبصار عن المحسوس ثم إن الدجال الآن في جزيرة من جزر البحر كما ورد في حديث تميم الداري فلقائل أن يقول : أُكتشفتْ اليوم القارات والبحار والجزر وينكر الدجال . مع أن أحاديث وجوده صحيحه في صحيح مسلم وغيره وقد أنكر وجوده بعض العصريين بِزَعْم اكتشاف الأرض كلها.

ومما يبين دجل أهل هذه العلوم والكشوفات كلامهم في الفضاء الذي لا حَدّ له ولا نهاية في علومهم وليس للسماء المبنية ذكر في علومهم مع أنها قريبة جداً بالنسبة لما يتكلمون به من الأبعاد الخيالية فهل ننكر السماء لأنهم ينكرونها ؟ بل وينكرون وجود الله والملائكة والجن .

دليله الرابع

قال : الدليل الرابع ماثبت أيضاً في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ذات يوم : " ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلّق بين الإبهام والتي تليها " فهذا دليل صريح صحيح أنه من ذلك اليوم الذي كان فيه ذلك الفتح وهم آخذون بعض الأسباب الداعية لخروجهم وأنه لايزال السبب يقوى وقتاً بعد وقت وسواء كان المعنى أنه مثلٌ ضربه النبي صلى الله عليه وسلم يقصد به تقريب الحقيقة للأذهان وأنهم قدْ ابتدؤوا في السعي للخروج والإندفاع في الأرض أوْ أن ردم يأجوج ومأجوج انفتح منه ذلك الوقت هذا المقدار وأنه لم يزل في زيادة حتى زال واندك .

وقال أيضاً على الحديث المتقدم : فيه دليل ظاهر أنه انفتح بعضه وأنه عن قريب ينفتح جميعه ويخرجون على الناس .

الجواب : ليس ما قاله صلى الله عليه وسلم مثل مضروب لتقريب الحقيقة بل هو على ظاهره ولذلك وصف مافُتح منه بتحليقه بين الإبهام والتي تليها . وقوله : " مثل هذه " تبيّن المراد .

أما قوله أن في الحديث دليل ظاهر أنه عن قريب ينفتح جميعه ويخرجون على الناس فهذا التقريب له نظائر ليس معناه ماذهب إليه السعدي فهو مثل قوله تعالى : ﴿ إقترب للناس حسابهم ﴾ الآية وقوله : ﴿ إقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ . وقوله صلى الله عليه وسلم : " بعثت أنا والساعة كهاتين ونحو ذلك بل الحديث مثل قوله تعالى : ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقترب الوعد الحق ﴾ الآية . فهذا هو الإقتراب في الحديث كالآية .

بل إنه صلى الله عليه وسلم قرّب خروج الدجال حتى ظنوه في نخل المدينة فالنبي صلى الله عليه وسلم بقوله : " ويل للعرب من شرٍ قد اقترب" لأن البلاء بيأجوج ومأجوج عظيم لكثرتهم فيأكلون أقوات الناس ويشربون المياه ويهلكون الحرث والنسل ومع هذا فهم محاربون فنشابهم بأيديهم حتى بلغت بهم جهالتهم وهمجيّتهم أن يقذفوا بنشابهم نحو السماء فترجع مخضوبة بالدم إبتلاءً من الله فيظنون أنهم قتلوا أهل السماء وهذا غاية الهمجية والجهل والطيْش كما أنه غاية في الحنق والغيظ والكفر .

ثم ذكر السعدي كلاماً يؤيّد به ماذهب إليه من أن يأجوج ومأجوج هذه الدول فذكر ما كان من انتشار الإسلام وتوسّع الفتح الإسلامي ثم تقلّصه بعد ذلك بتداعي الأمم وزوال عِزّ العرب عن تلك الممالك الإسلامية ووقوع الدواهي العظام قال : حتى وقعت داهية التتر العظيمة الذين هم من عنصر يأجوج ومأجوج ومن نفس ديارهم كما ذكر أهل السِّيَر ومنهم ابن كثير رحمه الله .

ثم ذكر انه مازالت الشرور تتوالى على المسلمين ثم قال : من أين أصابت المسلمين عامة والعرب منهم خاصة إلا ممن أخبر الصادق المصدوق الذي لاينطق عن الهوى بوقوعها منهم وهم يأجوج ومأجوج .

الجواب : ابن كثير لم يتعرض ليأجوج ومأجوج الذين جاء ذكرهم في القرآن والأحاديث الذين بنى السد عليهم ذو القرنين بل قال عنهم في تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى : ﴿ **وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض** ﴾ أن خروجهم عند اقتراب الوعد الحق حين يدكّ الله السد وقال : وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد

الدجال كما سيأتي بيانه عند قوله : ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ﴾ الآية وقد قال في تفسير هذه الآية في سورة الأنبياء : قدْ قدّمنا أنهم من سلالة آدم عليه السلام بل هم من نسل نوح أيضاً من أولاد يافث أي أبي الترك . والترك شرذمة منهم تُركوا وراء السد الذي بناه ذو القرنين ثم ذكر الأحاديث التي ورد فيها ذكر يأجوج ومأجوج وذكر حديث النواس بن سمعان الذي تقدم وفيه بيان أن خروجهم وعيسى في الأرض . وهذا بيّن من كلام ابن كثير أنه لم يتعرض لما وراء السد. وكوْن الترك شرذمة منهم إن صح فهؤلاء دون السد وليس فيهم فساد يأجوج ومأجوج وإلاّ لما تركهم ذو القرنين .

كذلك فلوْ قال ابن كثير أن التتار من نفس ديار يأجوج ومأجوج فلا يُحمّل كلامه مالا يحتمل فقطعاً هو لايقصد ماوراء السد وإنما يقصد مادونه حيث يقال لمن جاورهم وقرُبُ من جهاتهم: أنه من ديارهم .

وابن كثير قال في قوله تعالى : ﴿ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ﴾ الآية . قال : وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال .

وسيأتي إن شاء الله ذكر التتار وأنهم شيء ويأجوج ومأجوج شيء آخر .

ثم قال : ولهذا كان بعض العلماء المتأخرين العارفين بأحوال الأمم كالأمير شكيب أرسلان وغيره يروْن أن يأجوج ومأجوج هم دول السوفييت أوبعضهم ولاريب أنهم منهم بل هم مبتدؤهم. وابن كثير في تاريخه جزم بأنهم منغوليا الذين تفرّعت منهم التتر والصين واليابان والروس وغيرهم من الأوروبيين كما ذكر ذلك المعتنون بالأنساب ومن ورائهم من الأمم حكمهم حكمهم فهذه الأوصاف التي وُصفوا بها بالكتاب والسنة لاشك من فهمها تماماً وفهم الواقع أنها تنطبق على هؤلاء الأمم .

الجواب : إنني لن أتكلف نقل أقوال المفسرين وشرّاح الأحاديث هنا من السلف فهو معلوم لكل أحد حيث أنهم لم يختلفوا في شأن يأجوج ومأجوج وأن خروجهم بعد نزول عيسى عليه السلام من السماء وأنهم من علامات الساعة الكبرى لأن الأحاديث الصحيحة صريحة في ذلك وإنما الذي أريد أن أذكره هنا بعض كلام أهل العلم فيمن يُحْدِث بعد السلف تفسيراً للقرآن والحديث وتأويلاً مخالفاً لهم . وحيث أنهم متفقون على أن

يأجوج ومأجوج هم الذين خلف السد وأنهم لايخرجون إلا بعد نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال وأنهم من العلامات الكبرى للساعة يذكرون هذا في عقائدهم كما ورد في الكتاب والسنة .

فانظر الآن مايقع فيه من المحذور من تأول في القرآن أوالحديث خلاف ما كان عليه السلف .

قال شيخ الإسلام : مَنْ قال : إن الأمة إذا اختلفتْ في تأويل الآية على قولين جازَ لمن بعدهم إحداث قول ثالث قال : فجوّزوا أن تكون الأمة مجتمعة على الضلال في تفسير القرآن والحديث وأن يكون الله أنزل الآية وأراد بها معنى لم يفهمه الصحابة والتابعون ولكن قالوا : إن الله أراد معنى آخر .

إذا كان هذا الكلام فيمن يُجَوِّز للمتأخرين إحداث قول ثالث فيما اختلف فيه السلف فكيف بمن يُحدث للآيات والأحاديث تأويلات مخالفة لهم في شيء لم يختلفوا فيه كموضوعنا هذا ؟

وقال : وكذلك إذا قالوا : يجوز أن يُراد بها هذا المعنى والأمة قبلهم لم يقولوا أريد بها إلا هذا أوْهذا فقد جوّزوا أن

يكون ما أراده الله لم يخبر به الأمة وأخبرت يعني الأمة أن مراده غير ما أراده . من الفتاوى ٩٥/١٣ .

أما قول السعدي عن ابن كثير أنه جزم بأنهم منغوليا الذين تفرّعت منهم التتر . والصين واليابان والروس فليس مراد ابن كثير مأذهب إليه بل معنى كلامه أن التتار من أهل تلك الديار التي يطلق عليها إسم منغوليا كما يقال عن طائفة أو أهل بلد : هم من العرب أومن العجم إذا كانوا في ديارهم . أما أن يريد ابن كثير أن التتار من عنصر يأجوج ومأجوج الذين وراء السد فقد نقلت من كلامه في هذا الكتاب مايبين أنه لم يخالف السلف في كوْن يأجوج ومأجوج يخرجون بعد نزول عيسى عليه السلام فيكون جزمه أنهم منغوليا مثل قوله عن القوم الذين طلبوا من ذي القرنين أن يحول بينهم وبين يأجوج ومأجوج : يُقال إنهم هم الترك أبناء عم يأجوج ومأجوج . ذكر هذا في خبر ذي القرنين ١٠٨/٢ . البداية والنهاية فهذا كله ليس فيه تعرّض لمن وراء السد .

أما ماذكره السعدي عن شكيب أرسلان وغيره من أنهم دول السوفييت أوبعضهم فقد ظهر ولله الحمد بطلان هذا القول وأمثاله ويأتي إن شاء الله زيادة بيان لذلك ثم إنه لاعبرة بمن

خالف ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وإجماع السلف .

ثم إن السعدي رَدّ مايُذكر في بعض المصنفات عن طول يأجوج ومأجوج المفرط وقصرهم المفرط ونحو ذلك وقدْ أصاب حيث لم يرد في ذلك أحاديث صحيحة يُعتمد عليها .

ثم قال : فإن قلتَ : فقدْ ورد في صحيح مسلم في حديث النواس بن سمعان الطويل أن يأجوج ومأجوج يخرجون بعد قتل عيسى بن مريم للدجال فيقول الله له : " قدْ أخرجت عباداً لي لايدان لأحد بقتالهم فحرّز عبادي إلى الطور وأنهم يخرجون فيشرب أولهم بحيرة طبرية ويمرّ عليها آخرهم فيقول : قد كان هاهنا ماء " وأنهم يرمون بنشابهم إلى السماء فتعود عليهم مخضوبة دماً فيقولون : قدْ قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء ؟ فالجواب عن هذا من وجوه :

الأول : أن هذا الحديث على فرض مخالفته ومناقضته لما دلّت عليه النصوص فإنه لايقاومها ولا يقدم مايظهر من دلالته على دلالتها. هذا على وجه التنزل وإلا فليس ولله الحمد بينهما مخالفة.

الجواب: ماهي النصوص التي يَدّعيها السعدي التي من أجلها وصَف هذا الحديث الصحيح الصريح الذي هو في بيان أمر

يأجوج ومأجوج وأن خروجهم بعد نـزول عيسـى وقتلـه الدجـال وصَفه بأنه لايقاومها ولايُقدم مايظهر من دلالته على دلالتها ؟

هذا كلام خطـير وعجيـب أيضـاً فهـل أتـى السـعدي بنـص واحد من الكتاب أو السنة يُعارض هذا الحديث وغيره ممـا ورد في شأن يأجوج ومأجوج ؟

أدلته العشرة كلها تأويلات فاسدة للنصوص لتأييد مقالته

إن الذي أورده في أدلته العشره لايشتمل ولا على نص واحد يعارض ماورد في شأنهم وإنما أوْرد تأويل النصوص المخالف لما عليه السلف ليجاري ماذهب إليه وهيهات وأنىّ له أولغيره فالأمر ولله الحمد جلي واضح . والمقالات الفاسدة ولَوْ انْتُصر لها لاتبقى مستقرة ثابتة كاستقرار الحق وثباته .

ثم قال : **الوجه الثاني** : أن دلالة تلك النصوص على صفاتهم المذكورة المشاهدة عياناً دلالة يقينية لايمكن أن يرد مايخالفها ويناقضها.

الجواب : السعدي لا أوْرد نصوصاً تدل على ماذهب إليه ولا شوهد من صفاتهم مايدل دلالة يقينيه على أنهم هذه الدول . فهل اندكّ السد وخرجوا وَرَآهم الناس وهل شربوا ماء البحيرة وهل خرج الدجال ونزل عيسى وقتله ؟ وبما أن هذا كله لم يحصل فكذلك هم وراء السد لم يخرجوا .

تأويله لخروج يأجوج ومأجوج

ثم قال : الثالث : أن إخباره بخروجهم بعد قتل عيسى للدجال وقتل المسلمين لليهود لايدل على أنهم لم يخرجوا قبل ذلك بل هذا خروج من محل إلى محل فإن يأجوج ومأجوج يأتون حنقين متغيظين على عيسى ومن معه من المؤمنين يريدون الإيقاع بهم فيكبتهم الله ويقمعهم ويلقي عليهم الموت الذريع .

ومما يدل على أن البعث والإخراج لايراد به ابتداء الخروج والبعث بل يراد به البعث والخروج من محل إلى محل آخر آيات متعددة مثل قوله : ﴿ **هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا** ﴾ فهذا خروج من محل إلى محل . وكذلك قوله : ﴿ **فأخرجناهم من جنات وعيون** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالات على أن المراد بالخروج والإخراج من محل لآخر ليس المراد به الإخراج الإبتدائي . ومثل ذلك البعث كقوله تعالى : ﴿ **بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا**

خلال الديار ﴾ وهذا بعث لهم من البلاد الجزرية إلى البلاد الشامية نظير مافي بعض ألفاظ حديث النواس : " بعثت عباداً لي لايدان لأحد بقتالهم من غير فرق . ومثل قوله : ﴿ **فبعث غراباً يبحث في الأرض** ﴾ ليس المراد ببعثه إنشاء خلقه وإنما المراد فأرسل الله غراباً يبحث في الأرض وقوله : ﴿ **إبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله** ﴾ ومعناه : عيّن لنا ملكا وهذا ظاهر بيّن ولله الحمد .

الجواب : قوله : أن إخبار ٥ بخروجهم بعد قتل عيسى للدجال وقتل المسلمين لليهود لايدل على أنهم لم يخرجوا قبل ذلك .

يقال : كل أدلتك العشرة هكذا تأويلات فاسدة للنصوص فالخروج الذي أخبر الله به وأخبر به رسوله مرة واحدة بعد أن يندك السد الحاجز لهم . وحيث أن وقته في غاية الظهور في هذا الحديث لم يقدر السعدي على شيء .

وهو في اضطراب بيّن فأحياناً يلتزم بالسد وأحياناً لايلتزم به فأمريكاواليابان والصين والدول التي ذكر ليس يحول بينها وبين

الناس سَد ولم يشربوا ماء بحيرة طبريه وليس سلاحهم النشاب ولا أتوْ إلى الناس عن طريق السد فهل هذا كله خاص بهؤلاء الذين يخرجون بعد نزول عيسى ؟

فعلى هذا يكون ماورد في الكتاب والسنه من أمر يأجوج ومأجوج وَوَصْفهم المنطبق على الذين يخرجون بعد نزول عيسى ناقص حيث لم يشمل الذين قبلهم ممن ترقوْا في الصناعات والمخترعاتت وعاثوا في الأرض فساداً من هذه الدول وطالت أزمان فسادهم وإنما خُصَّ به الذين يخرجون بعد نزول عيسى مع أن مدة مكثهم بعد خروجهم قليله كذلك فإن فسادهم بالنسبة لفساد مَنْ قبلهم قليل لانحصاره بإهلاك الحرث والنسل وهذا يَهوُن بالنسبة لفساد هذه الدول حيث أن فسادها أعظمه وأشدّه وأخطره مُوَجّهٌ إلى مَحْو دين الإسلام من الأرض بالكليه كما هو واضح جليّ لكل أحد . وكلام الله وكلام رسوله يُصان عن هذا فلو كان الأمر على ماذهب إليه السعدي لما خَصّت هذه الفرقه الأخيرة بالذكر وشُهرت بالوصف المميّز لها الذي لايشترك معها فيه غيرها وهي إنما ذُكرتْ إيذاناً باقتراب الوعد الحق وانتهاء أجل الدنيا .

سؤال وارد هنا وجوابه

بقي أن يقال : إذا كانت هذه الدول أعظم ضرراً من يأجوج ومأجوج لأن ضررها على الدين أعظم منه على الدنيا ومدّتها أطول بل وإمكانياتها من هذه الآلات والمخترعات أكبر وزمانها متقدم على زمن يأجوج ومأجوج فلماذا لم تُذكر ويُخَوَّف منها وتُحَذّر الأمة شرورها ؟ فجواب هذا أن هذه الدول قد ذُكرت وحُذِّر عنها أعظم من يأجوج ومأجوج فقد ورد في الكتاب والسنة الكثير من الإخبار بهم والتحذير منهم واتباع سننهم وطريقهم ونهجهم مع الإخبار أن ذلك سيقع مطابقة في المسلمين وليس شيء أبلغ من " حذو القذة بالقذة " و " شبراً بشبر وذراعاً بذراع " و " حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه " ونحو ذلك مما أصبح في الغاية من الظهور وهو من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم . وكل هذا وأمثاله ورد على سبيل الذّم والتحذير مع الإخبار أنه سيقع لا محاله . وهو الذي لايُحَدّ ضرره على الدين .

فإذ انضاف إلى هذا ماورد من الأمر بلزوم طريقه وهَدْيه

صلى الله عليه وسلم واتباع سننه كذلك الإقتداء بأصحابه والحضّ على التمسك بذلك والعَض عليه بالنواجذ لا إمساكه بأطراف الأنامل والنهي البليغ عما يُحْدَث بعده وبعد خلفائه ظهر الأمر جلياً لاخفاء فيه أن الأمة وقعت في أمر عظيم باتباعها سنن من كان قبلها وتحقق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم وحذّر عنه عياناً كما سيتحقق خروج يأجوج ومأجوج في حينه الذي أخبر به .

فها نحن تشبهنا باليهود والنصارى بصورة ماسبق لها مثيل ومن هنا جاءت المصائب على الدين وقدْ حُذِّرنا غاية التحذير .

تأويله لسلاح يأجوج ومأجوج

ثم قال السعدي : الوجه الرابع : أن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً مايمثل للناس بما كانوا يعرفون خصوصاً في الأمور التي لم يُشاهد المسلمون لها مثيلاً ولانظيراً في ذلك الوقت فإخباره برميهم بنشابهم إلى السماء إلى آخره يدل على قوتهم وقهرهم لأهل الأرض بسلاحهم ومخترعاتهم وكأن في هذا إشارة [1] إلى طيرانهم في الأفق وإلا فمن المعلوم أن سلاح النشاب ونحوه من السلاح الأول الضعيف قد نُسخ من زمان وأن الأسلحة لاتزال في رقي وازدياد ولايُرجى في وقت من الأوقات أن يعود الناس إلى سلاح النشاب ونحوه بل الذي عليه الإستقراء والتتبّع للأحوال أن السلاح سيترقى ترقياً عظيماً مما ينسي هذا السلاح الموجود حتى يكون مادة هلاك الخلق وتدميرهم .

الجواب : كيف لنا بالثقة بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف لنا بالمعرفة والإيمان بذلك إذا كان يخبر عن الشيء وهو يريد غيره .

---

(١) في الكتاب : بشارة ولعلها إشارة .

فإذا كان أخبر أن سلاح يأجوج ومأجوج النشاب فلا يُفهم منه غير هذا ومما يبين خطأ السعدي أنه في وقت خروجهم لاتوجد هذه المخترعات وقد تقدم ذكر ذلك فسلاح عيسى عليه السلاح حرْبه يقتل بها الدجال والمهدي وأصحابه سلاحهم السيوف ومراكبهم الخيول فجزمه انه لن يعود الناس إلى سلاح النشاب خطأ بيّن . وإذا سُلّطتْ التأويلات الفاسده على نصوص الكتاب والسنه انفتحت أبواب الشر كما هو حاصل . وقد قال أبو عبيه في تقديمه لكتاب النهاية لابن كثير وفي تعليقات له على الكتاب : أن الدجال رمز لِاسْتِشرْاء الفتنة واسْتعلاء الضلال فترة من الزمان.

فالنبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنهم يرمون بنشابهم إلى السماء فتعود مخضوبة بالدم فكيف يؤوّل هذا بطيرانهم وقهرهم لأهل الأرض بسلاحهم وهل هذا إلا من أفسد التأويل .

وهذا التأويل وغيره مما في كتابه فَتْحٌ لباب تغيير معاني الكتاب والسنه ودخول من شاء الدخول بباطله المخالف لمراد الله ومراد رسوله .

تأويله لشربهم ماء بحيرة طبريه

ثم قال السعدي : وأما مافيه يعني حديث النواس من ذكر ماء البحيرة وأنهم يشربونه فإما أن ذلك إشارة وتنبيه على كثرتهم العظيمة التي هم في الحقيقة عليها . وإما أن ماء البحيرة يستخرجونه بالآلات إلى عمارة حروثهم وزروعهم حتى ينشّفوها . وهذا شرب حقيقي .

الجواب : يأجوج ومأجوج يشربون ماء البحيرة كله كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك عندما يخرجون . أما أن يكون ذكر شربهم ماءها إشارة وتنبيه على كثرتهم من غير أن يكون هناك شرب حقيقه فتأويل باطل . والأخبار بكثرتهم جاءت صريحة في الأحاديث كما تقدم .

كذلك قوله : يستخرجونه بالآلات إلى عمارة حروثهم وزروعهم حتى ينشفوها وهذا شرب حقيقي . إنما هو على مقتضى اعتقاده أن يأجوج ومأجوج هم هذه الدول . والحقيقه أن هذه التأويلات صرف لكلام الله وكلام رسوله عن ما أُريد به .

ثم هل يصلح أن يؤول كلام رسول الله هذا التأويل البشِع

فقد ذكر صلى اللـه عليه وسلم مرور أوائهلم وشربهم ومرور آخرهم وكلامهم ثم يقال : إما إشارة وتنبيه على كثرتهم العظيمة أواستخراج ماء البحيرة بالآلات للحروث والزروع . ما أعجب هذه التأويلات فهو وإن كان فيه الإشارة الواضحة إلى كثرتهم فكذلك مرورهم على البحيرة وشربهم لمائها هو حق لامرية فيه .

وقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم " فذكر الحديث في خروجهم على الناس وفيه : فينشفون المياه " قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في تلخيصه .

ثم قال : ويدل على هذا أن ماء البحيرة لو اجتمع جميع من على وجه الأرض من الآدميين والحيوانات فشربوا منها بأفواههم لم ينشفوها .

والنبي صلى الله عليه وسلم ينزّه أن يتكلم بخلاف الواقع فتعين أحد التأويلين إن كان حديث النواس محفوظاً جمعاً بين النصوص .

الجواب : وهل نردّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ونحكّم عقولنا ؟ وهل هذا إلا ضلال مبين . ولقائل أن يقول: كشفنا القبور فما رأينا رياض جنات ولا حُفر نيران . والنبي صلى الله عليه وسلم ينزه أن يتكلم بخلاف الواقع . وغير هذا مما يهدم بناء الدين ويفتح باب الإنكار والجحود للزنادقة والملحدين .

وقوله : جمعاً بين النصوص . يقال : التأويلات المخالفه لما أراد الله ورسوله وأجمع عليه السلف تغيير وتبديل لمعاني النصوص وتفريق بينها لاجمع فإنها لايمكن أن تتفق ويصدّق بعضها بعضاً وتفهم منها المعاني الصحيحة بتسليط التأويلات الفاسده عليها بل هذا يجعلها متناقضه مضطربه كما هو حاصل في كل ماتُؤوّل على غير مراد الله ورسوله . قال الإمام أحمد : أكثر ما يضل الناس من جهة التأويل والقياس . وقال ابن القيم رحمه الله : فأصل خراب الدين والدنيا إنما هو التأويل الذي لم يردْه الله ورسوله بكلامه ولا دَلّ عليه أنه مراده.

وهل اختلفت الأمم على أنبيائها إلا بالتأويل ؟ وهل وقعتْ في الأمة فتنة كبيرة أوصغيرة إلا بالتأويل ؟ فَمِنْ بابهُ دُخِلَ إليها وهل أريقتْ دماء المسلمين في الفتن إلا بالتأويل ؟ إنتهى .

ثم يقال : هل استنكر الصحابة رضي الله عنهم هذا أوشكوا به ؟ كذلك السلف بعدهم أم أن إيمانهم ويقينهم أن مايقوله صلى الله عليه وسلم حق وصدق سواء احتملته عقولهم أو لم تحتمله .

ثم قال : ويدل على التأويل الأخير أن الصهيونيين الذين أكثرهم من عنصر الفرنج الذين أتْوا من البلاد الخارجية لازالوا يستخرجون ماء البحيرة بالمكائن وغيرها ولازالوا مجدّين على هذا الأمر ولابد أن يقع جميع ماأخبر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم.

الجواب : الذي في حديث النواس بن سمعان : " فيمرّ أوائلهم على بحيرة طبريه فيشربون مافيها ويمرّ آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء " .

وفي حديث أبي سعيد الخدري : " حتى إن بعضهم ليمرّ بالنهر فيشربون مافيه حتى يتركوه يابسا حتى أن مَن بعدهم ليمرّ بذلك النهر فيقول : لقد كان ههنا ماء مره " وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه

الذهبـي في تلخيصه .

فـالذي في الأحـاديث ذكـر المـرور والشـرب لا الإســـتيطان والزرع واستخراج الماء بالمكائن فهذا تأويل كريه مُسْتبشع .

دليله الخامس

ماتواترت به الأخبار عن أصناف العلماء من المفسرين والمؤرخين وأهل السِّيَر والأنساب من المتقدمين والمتأخرين واتفاق تحقيقهم أن يأجوج ومأجوج في شمالي آسيا وأنهم جيران الترك وأن الأتراك قيل لهم تُرك لأن ذا القرنين لما رَدَم بين يأجوج ومأجوج وترك منهم هذه الطائفة فقيل لهم الترك لأنهم تُركوا خلف السد . فالترك منهم والباقون جيرانهم المتصلون بهم في بلاد تركستان . وقد ذكر ذلك غير واحد من المؤرخين والمفسرين حتى كاد يكون اتفاقاً منهم على هذا وهؤلاء هم من الأمم تبع لهم وفرع عنهم .

الجواب : ليس الكلام على جهتهم ولا على من جاورهم ولا على من ترك ذو القْرنين دون السد وإنما الكلام على الذين ذكرهم الله ورسوله الذين خلف السد فهؤلاء هم المعنيّون وهم الموْصوفون في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكثرة الخوض والتلفيق لاتغير الحقائق .

ثم إن كان تَرَكَ ذو القرنين أحداً دون السد فكوْنهم من

يأجوج ومأجوج هذا يحتاج إلى دليل تقوم به الحجه لكن الذي لاشك فيه أن ذا القرنين لن يترك المفسدين دون حجز وهذا ظاهر من القرآن حيث أن جيران يأجوج ومأجوج شكوْا إليه إفسادهم ثم هو في الغاية من التمكّن والقدرة والإحسان فعمل الردم وقال : " هذا رحمة من ربي " فمع تمكّنه وصلاحه وإرادته للخير والإصلاح فلا يمكن أن يدع دون السد أحداً من هاتين الأمتين المفسدتين في الأرض. وهو قال : ﴿ **أجعل بينكم وبينهم ردما** ﴾ فهذا استجابة منه لطلبهم . والضمير في قوله تعالى : ﴿ **وبينهم** ﴾ يعود على المفسدين في الأرض وهم يأجوج ومأجوج وهم المعْنيّون في كلام الله وكلام رسوله .

ثم قال : والمنصف إذا عرف الواقع وأين ديار الترك ومَنْ جيرانهم عرف أن كلام هؤلاء العلماء صريح أنهم هؤلاء الأمم الذين ذكرنا . وليكن على بالك أن يأجوج ومأجوج ليسوا عالماً غيْبيا وإنما هم آدميون بارزون محسوسون كما دلّت على ذلك أنواع الأدلة .

الجواب : كوْنهم آدميون لانزاع فيه كذلك كوْنهم بارزٌ

بعضهم لبعض يحسّ بعضهم ببعض كذلك كوْنهم بارزون محسوسون قبل بناء السد أما دعوى بروزهم والإحساس بهم بعد السد فهذا باطل وتقدم البيان الكافي .

وقوله : ليسوا عالماً غيْبياً فقد تقدم بيان ذلك تحت عنوان : " حَجْبُ الله الأبصار عن المحسوس المشاهد " وأن كل ذلك يكون .

دليله السادس

أن الشارع لايُخبر بأمر تحيله العقول ويكذبه الحسّ والواقع بل أخباره كلها لايعارضها حسّ ولاعقل صحيح ولاغيرها من الأمور العلمية .

الجواب : هذا الكلام لايقبل كله ولايُرد كله لكن مع بعض التفصيل يزول الإشكال .

فيقال : الرسل لا تأتي بما تحيله العقول لكن تأتي بمحارات العقول وفرق بين هذا وهذا . وهذا كلام العلماء فلا تأتي الرسل[١] بما لاتستقل العقول بمعرفته على كنهه ومِنْ هنا جاء ضلال من جعل عقله هو الحاكم على الشرع . والعقل مهما بلغ فله حدّ كما أن البصر له حَدّ يعجز عن تجاوزه . قال شيخ الإسلام : فصل : ولما كان مراد الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الأبواب لايتم إلا بدفع المعارض العقلي وامتناع تقديم ذلك على نصوص الأنبياء . ١/١١ العقل والنقل .

أما قوله : ويكذبه الحسّ فالذي صحّ عن رسول الله صلى

---

(١) بما يُتيَقّنُ بأنه مستحيل وجوده وكَوْنه أوْوُقوعه لكن تأتي .

الله عليه وسلم لايعارضه عقل سليم ولايكذبه حِسّ مستقيم فإذا وُجد التعارض والتناقض فالخلل والفساد بلا ريب في العقل والحسّ. لأن النقل الصحيح يصدّقه العقل الصريح . وقال شيخ الإسلام بعد كلام له : فتبين بذلك أن العقل ليس أصل لثبوت الشرع في نفسه ولامُعطياً له صفة لم تكن له ولامفيداً له صفة كمال . إلى آخره .. ١/٥٨ العقل والنقل .

ثم قال : ومن زعم أن يأجوج ومأجوج غير هؤلاء الأمم الذين ذكرنا فإن قوله يتضمن المحال لأن هذا القائل يدّعي ويعتقد أنهم أمم عظيمة من بني آدم وأنهم أكثر من هؤلاء الأمم الذين يُعرفون الآن على وجه الأرض كلها بأضعاف مضاعفه .

الجواب : قد تقدم مثل هذا الكلام المكرر والرد عليه . أما قوله: فإن قوله يتضمن المحال فيقال : المحال والضلال والخبال رَدّ ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم بحجة عَرْضه على العقل والإحساس والواقع . لأن الشأن بهذا العقل وهذا الإحساس وهذا الواقع فَمَنْ آمن بالله وماجاء عن الله على مراد الله وآمن برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله لايكون هذا ميزانه بل لايتم الإسلام إلا على ظهر التسليم .

وجوب الإيمان بما جاء به الرسول وإن لم تُحِطْ به العقول

قال ابن قدامة في " لمعة الإعتقاد " صفحة ٢٨ تحت عنوان "الإيمان بكل ماأخبر به الرسول " قال : ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وصَحّ به النقل عنه فيما شاهدناه أوْغاب عنا . نعلم أنه حق وصدق . وسواء في ذلك ماعقلناه وجهلناه ولم نطّلع على حقيقة معناه مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظه لامناما . ومن ذلك أشراط الساعة مثل خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله وخروج يأجوج ومأجوج وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها وأشباه ذلك مما صح به النقل .

قال ابن تيميه بعد كلام له : فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ماظنوا أن عقولهم عرفته ويجعلون ماجاءت به الأنبياء تَبَعاً . فما وافق قانونهم قبلوه وماخالفه لم يتبعوه .

وقال : أن كل من أثبت ما أثبته الرسول ونفى مانفاه كان

أولى بالمعقول الصريح كما كان أولى بالمنقول الصحيح وأن من خالف صحيح المنقول فقد خالف أيضاً صريح المعقول . ٦٨/١ العقل والنقل .

تأمل قوله : وأن من خالف صحيح المنقول فقدْ خالف أيضاً صريح المعقول فإنه أصل عظيم . وقال : فإن ماهو ثابت في نفس الأمر بالسمع اوبغيره هو ثابت سواء علمنا بالعقل أوبغير العقل ثبوته أولم نعلم ثبوته لابعقل ولا بغيره إذْ عَدَم العلم ليس علماً بالعدم وعدم علمنا بالحقائق لاينفي ثبوتها في أنفسها . فما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم هو ثابت في نفس الأمر سواء علمنا ثبوته أولم نعلم . إلى آخره ٥٨/١ .العقل والنقل .

تأمل قوله : إذْ عدم العلم ليس علماً بالعدم . فهذه قاعدة من أهملها وقع في الخطأ فلِعدم علمه بالشيء ينكره وهذا ليس علماً منه بل هو كما قال تعالى : ﴿ **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه** ﴾ لأن عدم العلم ليس علماً بالعدم .

وتأمل قوله : وعدم عملنا بالحقائق لاينفي ثبوتها في أنفسها. وذلك لأن ثبوتها في أنفسها لىس متوقفاً على علمنا بل ولاعلى وجودنا .

يعني أنها ثابته في أنفسها ولا تأثير لعملنا بذلك أوعدم علمنا به.

وقال شيخ الإسلام : إن النصوص الثابته عن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعارضها قط صريح معقول فضلاً عن أن يكون مقدماً عليها وإنما الذي يعارضها شبه وخيالات مبناها على معان متشابهه وألفاظ مجملة فمتى وقع الإستفسار والبيان ظهر أن ماعارضها شبه سوفسطائيه لابراهين عقليه . ١/١١٥ .

كذلك السعدي فإنه لما كان قوله معارض للنصوص الثابته لم يأت إلا بخيالات مبناها على تأويلات فاسدة قَلّدَ بها العصريين المفتونين بما يسمى حضارة الغربيين . فمرة يقول : هذا خلاف الواقع والحس ومرة يقول : أُكتشفتْ القارات كلها فأين هم ؟ ومرة يقول عن وجودهم أنه يتضمن المحال . وهكذا فهو ليس يتعامل مع النصوص بما يليق وما لجأ فيما يقول إلى ركن وثيق .

ثم قال السعدي بعد كلامه السابق : وهذا قول محال ينزه الشارع من أن ينسب إليه هذا القول لأنه يُطَرِّق الكافرين والمعاندين إلى القدح في الشارع ويقولون : كيف يخبر عن أمم على وجه الأرض أكثر من الموجودين في القارات الست وتوابعها؟

فأين هم ؟ وأين ديارهم ؟ والأرض كلها مكشوفة قد اكتشفها الناس قطراً قطراً ولم يبق محل من الأرض إلا وصل إليه علم الناس إلا جهة قليله جداً تحت مدار القطبين قد غمرتها الثلوج لايمكن أن يعيش فيها آدمي ولاحيوان ولا نبات لشدة بردها وعدم وصول الشمس إليها وهي رقعة صغيرة جداً بالنسبة إلى الأرض المكتشفه فمجرد تصوّر العارف لهذا القول يكفي في رده يوضح هذا توضحياً تاماً الدليل السابع .

الجواب : تقدم أن ذلك ثابت بالكتاب والسنه والذي ينزه عنه الشارع الكذب والباطل وهذا حق وصدق .

أما تطريق الكافرين والمعاندين إلى القدح بالشارع فليس بالإيمان والتصديق بما أتى به وإنما تطريقهم للقدح والطعن بفتح هذه الأبواب لهم التي أوْسعها وأخطرها عرض ماجاء به على العقل والرأي وتسليط التأويلات الباطله على كلام الله وكلام رسوله . ومن هذا الطريق دَخلوا . وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالدجال وشأنه أعظم من يأجوج ومأجوج وهو أعظم الفتن فقد قال صلى الله عليه وسلم : " مابين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال " وهذا في صحيح مسلم ورواه الإمام أحمد .

وفي رواية لأحمد : " والله مابين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أعظم من الدجال" .

وأخبر صلى الله عليه وسلم بالإسراء حتى أنه ارتدّ بعض من آمن ومامنعه ذلك . وأخبر بعذاب القبر ونعيمه ويأتي إن شاء الله في ختام هذا الكتاب طعن الزنادقة في ذلك وتقدم ذكر كلام من أنكر الدجال ثم ماذا ؟

فإن الكفار أنكروا ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم وضادوه وعاندوه وسخروا به وبدينه الذي أتى به من ربه ولم تتغير الحقائق وهم إنما اشتروا الضلالة بالهدى . وماكتم النبي صلى الله عليه وسلم أمر الصراط والميزان والجنة والنار مع أن الكفار ينكرون ذلك غاية الإنكار .

ثم إنه إنْ عاد النظر والمُدَارات لِخوَاطر الكفار فإنه سوف يكون إنكارهم وتكذيبهم لكلام السعدي فيهم حيث جعلهم هم يأجوج ومأجوج أعظم وأعظم من إنكارهم لأمر جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لم تبلغه عقولهم ولم تحط به علومهم وقد جاء بكثير غيره أكبر منه وأعظم وهم له أشدّ نكيراً . وليس ميزان الشرع قبول الكفار أوْردّهم ولاتصديقهم أوتكذيبهم .

مسلك خطير سلكه العصريون

لقد ابْتُلي أهل الوقت بالغربيين وعلومهم واكتشافاتهم . وخوارقهم . بَهَرَهم ذلك وأخذ بعقولهم وماعلموا أنه فتنة وأنه توطئة وتمهيد للدجال . وكثير منهم أوّلوا القرآن وأحاديث الرسول تأويلاً مخالفاً للسلف مجاراة لهذه العلوم والكشوف ولأربابها . ومن علامات هذه الفتنة في القلوب الذّل النفسي وتعظيمهم . واحتقار وازْدراء ماخالف هَدْيهم . وهذا، يستحيل أن يحلّ في قلب المؤمن لأن له نصيب وحظ من العلم والعز الذي جاء به نبيه .

فبالعلم يُنزل أعداء الله منازلهم . وبالعز يكون علوّه عليهم قال تعالى : ﴿ **وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ وهذه العزة للمؤمن شعور وحال ملازمة له لاتنفك عنه غير أن ضعف الإيمان أوترحّله من قلب الإنسان يوجب له تصوّرات تتصوّرها نفسه الأمارة ويزيّنها له الشيطان تخالف الحق وتؤدّي إلى الخسران .

دليله السابع

أن قارات الدنيا كلها القديمة والحديثة ست قارات ثم ذكرها وقال كلاماً ردّده في كتابه كثيراً وأكبر اعتماده في أدلته عليه قال: وهذه القارات قدْ عَرَفها الناس كلها معرفة تامة .

وقال : فمتى خبّرنا مخبر أن في الأرض غير هؤلاء المذكورين من بني آدم أكثر من المذكورين بأضعاف مضاعفة علمنا غلطه الفاحش لأنه خلاف الواقع المقطوع به .

الجواب على مثل هذا تقدم . والواقع الذي يذكره السعدي إنْ وَزَنّا به ماجاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم في كل مايخالف الواقع ضللنا فانشقاق القمر مخالف للواقع وتسبيح الحصى وحنين الجذع وكوْن النبي صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه وانبثاق الماء الكثير من بين أصابعه وتكثير الطعام وغير ذلك مما يكون خلاف المعتاد والواقع .

وإحياء عيسى للموتى بإذن الله وإحياء موسى القتيل بضربه بجزء من البقرة وانفلاق البحر ويُبْس أرضه في لحظة بضربه عصابة وولُوج موسى عليه السلام وقومه فيه ثم خروجهم منه ودخول

فرعون وقومه وانطباقه عليهم وناقة صالح وإحياء إبراهيم الطيور بإذن الله وغير ذلك كثير مخالف للواقع المعهود فهل نردّه ؟ فما الذي يبقى من ديننا ؟

دليله الثامن

وهو أنه قدْ ثبتتْ كروية الأرض ثبوتاً لا امْتراء فيه وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيميه وابن القيم وابن كثير وغيرهم هذا . وذكر شيخ الإسلام أن دلالة الكتاب والسنة على هذا القول ظاهرة كما أنه قدْ اتفق عليه أهل المعرفة . وقد كان في الزمان الماضي يوجد من يُعارض في كروية الأرض من أهل العلم قبل اكتشافها ويظن أن كرويتها تنافي سطحيتها . وهذا غلط فإن الجسم العظيم المسطح قد يكون مُكَوّراً مستديراً قال تعالى : ﴿ **وإلى الأرض كيف سطحت** ﴾ أي مُدّت ومهّدت ووسّعت لجميع منافع الآدميين . وقال تعالى : ﴿ **يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل** ﴾ والتكوير هو الإستدارة كاستدارة العمامة على الرأس وقال تعالى : ﴿ **وكل في فلك يسبحون** ﴾ . ثم إن الواقع المعروف معرفة لاشك فيها يوافق هذا . وبعد ظهور المخترعات والمقرِّبات وقرب المواصلات صارت كروية الأرض معروفة لكل

أحد له معرفة بالأرض . وقد يتمكن الإنسان في كل وقت أن يعرف أوقات جهات الأرض ويعرف أن ليل بعض الجهات نهار لجهات أخرى وبالعكس وأن الشمس لاتزال تجري في فلكها . إذا طلعت على جانب من الأرض غربت عن الجانب الآخر . فمثلاً إذا زالت الشمس في جزيرة العرب تكون قد غربت عن أقاصي الصين وبلاد اليابان وإذا غربت الشمس في جزيرة العرب تكون قدْ ابتدأ شروقها في بلاد أمريكا ثم إذا زالت الشمس في أمريكا طلعت على بلاد اليابان والصين وهلمّ جرا .

وكذلك من عَبَرَ مغرباً من البحر الغربي الشمالي ينفذ على أمريكا منها إلى المحيط الهادي ثم من المحيط الهادي على اليابان ثم الصين ثم يرجع إلى موضعه وهكذا في كل مكان .

ومعلوم أنه إذا كانت الأرض كروية كانت محصورة تحيط بها معارف الناس . فدعوى المدّعي أن هنا أمماً أكثر من المذكورين المعروفين وهم على وجه الأرض دعوى مخالفة للدليل القاطع وما كان كذلك فهو معروف الغلط .

الجواب : كلامه في صفة الأرض كله صحيح أما إنكاره وجود يأجوج ومأجوج وأنهم غير الدول الموجودة فهذا لم يعتمد

فيه على أعظم مما حكاه الغربيون من أنهم اكتشفوا الأرض كلها فهو يردّد هذا بصِيَغ مختلفة وتقدم الكلام عليه .

أما قوله : دعوى مخالفة للدليل القاطع : فيقال : الدليل القاطع والنور الساطع ماصحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وما أتى السعدي بدليل قاطع وأنىّ له أوْ لغيره أن تتغير بمعقولاتهم الحقائق الثابته .

ثم ذكر السعدي أنه ليس مع من عارض ماذكر إلا حديث النواس بن سمعان قال : وقد ذكرنا وجهه . وقد تقدم الجواب عليه .

ثم ذكر من غلط من يعارضه أنهم رأوْ أن هذه الأمم لها أسماء مخصوصه كالروس واليابان ونحوهم فظنوا أنهم غير يأجوج ومأجوج قال : وهذا غلط واضح فكم تنقلت وتغيرت الأسماء .

الجواب : تقدم قول من تأوّل الدجال أنه رمز لاسْتشراء الفتنة واسْتعلاء الضلال فترة من الزمان والدجال شخص لايتغير إسمه ولا وصفه الذي وصفه به النبي صلى الله عليه وسلم كذلك يأجوج ومأجوج هذا إسم خاص بمن وراء السد لايتغير ولذلك جاء ذكرهم باسمهم في القرآن في أول الأمر في قصة بناء ذي

القرنين السد عليهم وفي آخر الأمر وقت خروجهم فقال تعالى حكاية عن جيرانهم أنهم قالوا لِذي القرنين : ﴿ **إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض** ﴾ وقال تعالى ذاكراً خروجهم مسمّياً لهم بنفس اسمهم : ﴿ **حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون** ﴾ كذلك الأحاديث الواردة فيهم مثل مافي القرآن أولاً وآخراً وهذا لايتغير ولا يتبدل وإلا كيف نعرف ديننا ؟

ومما يبين أيضاً خطأ السعدي أن جيران يأجوج ومأجوج سَمَّوْهم لذي القرنين باسمهم المعروف المعهود . وهذا قبل بعثة النبي بأكثر من تسعمائة سنة أما زعمه أن في بلاد منغوليا وشرقي تركستان قبائل يقال لهم : يأجوج ومأجوج . فهذا إن صح فلا عبرة فيه لأن الكلام على من خلف السد الذين ذُكِرَتْ صفاتهم في الكتاب والسنة. وبلا شك أن الذين ذكر إن كان صحيحاً فهو مجرّد موافقة في الإسم.

ثم إن هذا ينقض دعواه أن يأجوج ومأجوج هذه الدول لأنهم لايسمون يأجوج ومأجوج وإنما تسمى به هذه القبائل هذا إن صح وقد يكون لقباً يلقبون به لقربهم من ديارهم .

دليله التاسع

وهو الجامع لكل ماتقدم وهو أن دلالة الكتاب والسنة الصحيحة والأوصاف المذكورة فيهما ليأجوج ومأجوج لاتصْدق إلا على ماذكرنا من الأمم ثم ذكر من جنس ماردّده في كتابه ثم إن المسألة ليست مغالبة بما يتفق أوْبمجرد الجزم فكم من جزم بباطل . وإنما مرجع المسلم فيما يُتنازع فيه الكتاب والسنة وليس مع السعدي من ذلك شيء غير تأويلات خالف فيها أهل القرون المفضلة ومَنْ بعدهم من السلف وصال وجال بالعصريين . وقدْ تقدم كلام ابن تيميه فيمن أحدث بعد السلف قولاً مخالفاً لهم في تفسير القرآن والحديث.

دليله العاشر

أن لفظ يأجوج ومأجوج واشتقاقه من الأجيج والسرعة ووصْف الشارع لهم بذلك يدل على ماذكرناه ولهذا كان الأولى أن يكون إسم جنس .

الجواب : أن هذا الإسم مخصوص به من وراء السد لئلا يشتبه الأمر . ومايكون جواب السعدي لمن يقول : الدجال المراد منه كثرة الكذب ونحو ذلك ويستدل بما يذكره أهل الجرح والتعديل فيقولون . فلان دجال وينكِر شخص الدجال الموصوف في السنه ؟

أما ماذكره من يأجوج ومأجوج إسم جنس فيردّه ماورد في الكتاب والسنة من صفاتهم المميزة الخاصة بهم كما وُصِف[1] هذا المعنى عنهم ؟ وقد تقدم كلام ابن كثير عند قوله تعالى : ﴿ **من كل حدب ينسلون** ﴾ قال : أي يسرعون في المشي إلى الفساد . والحدب هو المرتفع من الأرض . قاله ابن عباس وعكرمة وأبو

---

(١) لنا الدجال بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة وإذا كان إشتقاق إسمهم من الأجيج والسرعة فما الذي يصرف .

صالح والثوري وغيرهم وهذه صفتهم في حال خروجهم كأن السامع مُشاهد لذلك إلى آخره .

وقال ابن الأثير في " النهاية " ١/٤٤ : الأجُّ : الإسراع والهَرْوَله . إنتهى فهذه صفاتهم .

نقولات عن العصريين ليست بشيء

أخيراً نقل السعدي كلاماً للعصريين فذكر عن شكيب أرسلان قوله : أن يأجوج ومأجوج هم المجار وهم المغول .

ونقل من " المنار " أن المغول التتار من نسل يأجوج ومأجوج .

ونقل نحو هذه المقالات التي هي من جنس كلامه لاتقوم بها حجة والتتار كان شيخ الإسلام وابن القيم وغيرهم من العلماء معاصرين لهم وجرى لشيخ الإسلام معهم مواقف وكان ممن قاتلهم وماذكر هو ولا العلماء أمثاله الذين عاصروهم وشاهدوهم وذاقوا ويْلاتهم أنهم يأجوج ومأجوج أو أنهم منهم [1] .

وفي المجلد الثامن والعشرين من الفتاوى سُئل الشيخ عن التتار وأجاب بجواب طويل وقسّمهم إلى أربع طوائف وماذكر كلمة حول يأجوج ومأجوج لا أنهم هم ولا أنهم منهم .

وذكر أن عسكر التتار مشتمل على أربع طوائف :

١- طائفة كافرة باقية على كفرها .

---

(١) وفي المجلد الثامن والعشرين من الفتاوى سُئِل الشيخ عن التتار وأجاب بجواب طويل وقسّمهم إلى أربع طوائف وما ذكر كلمة حول يأجوج ومأجوج لا أنهم هم ولا أنهم منهم .

٢- مسلمة فارْتدت عن الإسلام .
٣- مَنْ كان كافراً فانْتسب إلى الإسلام ولم يلتزم شرائعه .
٤- قوم ارتدوا عن شرائع الإسلام وبقوا متمسكين بالإنتساب إليه .

وقد ذكر الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله في كتابه " إتحاف الجماعة " ٢/٢٩٣ أن بعض العصريين يزعمون أن يأجوج ومأجوج هم جميع دول الكفر المتفوقين في الصناعات الحديثة قال : وقدْ رأيت هذا القول الباطل في مؤلفات المتكلفين من العصريين . إنتهى . وقال أيضاً في صفحة ٢٩٦ : ومن أغرب أقوال العصريين مازعمه طنطاوي جوهري في تفسيره أن يأجوج ومأجوج هم التتار الذين خرجوا على المسلمين في أثناء القرن السابع من الهجرة ومابعده ولوْ كان الأمر على مازعمه هذا المتخرص المتأول لكتاب الله تعالى على غير تأويله لكان الدجال قد خرج في أول القرن السابع من الهجرة قبل خروج التتار على المسلمين ولكان عيسى بن مريم عليه السلام قد نزل من السماء وقتل الدجال قبل خروج التتار ولكان سَدّ ذي القرنين قدْ دُكّ في ذلك الزمان إلى آخره .

وقال : فمن أبطل الباطل وأقبح الجهل والتخرص واتباع الظن ماجزم به طنطاوي جوهري في قوله : إن يأجوج ومأجوج هم التتار الذين خرجوا على المسلمين في أثناء القرن السابع ومابعده وقدْ تبعه على باطله وجهله صاحب " دليل المستفيد على كل مستحدث جديد " فزعم أن التتار هم أوائل يأجوج ومأجوج وزعم في موضع آخر من كتابه أن يأجوج ومأجوج قدْ تفرقوا في الأرض وصاروا دولا في آسيا وأوروبا وأمريكا وقال التويجري رحمه الله . ومن المعلوم أن دول آسيا وأوروبا وأمريكا لم تزل في أماكنها منذ زمان طويل وأنه ليس بينهم وبين غيرهم سدّ من حديد يمنعهم من الخروج والإختلاط بغيرهم من الناس .

فصفة يأجوج ومأجوج لاتنطبق على شيء من الدول المعروفة الآن وقدْ تقدم في عدة أحاديث صحيحة أن يأجوج ومأجوج إنما يخرجون بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتل الدجال وأنهم لايمكثون بعد خروجهم على الناس إلا مدة يسيره ثم يدعو عليهم نبي الله عيسى فيهلكهم الله جميعاً كموت نفس واحدة . إنتهى .

رجوع السعدي عن قوله

ذكر الشيخ حمود بن عبد الله التويجري رحمه الله في كتابه " الإحتجاج بالأثر " ص ٣٣٤ رجوع السعدي عن قوله فقال : قد قرّر في تفسيره في أمر يأجوج ومأجوج خلاف ماقرّره في رسالته وقد كان طبعه للتفسير بعد إخراجه للرسالة بنحو من سبع عشرة سنة . وفي طبعه لتفسيره مع مافيه من المخالفة لما قرّره في رسالته دليل ظاهر على رجوعه عما كان قرّره في الرسالة . إنتهى.

وذكر في صفحة ٣٢٧ نحو هذا .

والذي اعْتمده التويجري في رجوع السعدي عن قوله المخالف في يأجوج ومأجوج مارآه في تفسيره لسورتي الكهف والأنبياء حيث لم يذكر أنهم هذه الدول وقال : إن السعدي أهدى إليه الجزء الخامس من تفسيره والذي فيه خلاف مافي الرسالة وذكر أن هذا الجزء طبع في سنة ١٣٧٥هجريه وبينه وبين كتابة الرسالة سبعة عشر سنة . فالله أعلم .

ثم إن الرسالة التي ذكر التويجري نقلها في كتابه "

الإحتجاج بالأثر " في ردّه على ابن محمود صاحب قَطَر الذي أنكر خروج المهدي وذكر رسالة السعدي مؤيداً لها .

والرسالة المذكورة صغيرة وموضوعها هو موضوع النسخة التي وصلت إليَّ لكنها مختصره لم يذكر فيها أدلته العشرة وليس فيها كثير مما في هذه النسخة التي كتبت من أجلها هذا الرد وقدْ ذكرتها في المقدمة .

كلام نفيس في صفة عذاب القبر ونعيمه

ومما يتصل بهذا الموضوع عذاب القبر ونعيمه وهو وإن كان من أمر الآخرة لكن له اشتراك من بعض الوجوه مع هذا الموضوع وله اتصال به . ونحن في زمن كثرت آفاته وعظمتْ بليّاته . ولذلك فسوف أنقل بعض ماذكره ابن القيم في كتابه النفيس " الروح " وهو بعض جواب لهذا السؤال الذي سُئِله رحمه الله والسؤال : ماجوا بنا للملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر وسعته وضيقه وكوْنه حفرة من حفر النار أوْ روضة من رياض الجنة .

وكوْن الميت يجلس ويقعد فيه . قالوا : فإنا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة عمياً صماً يضربون الموتى بمطارق من حديد ولانجد هناك حيات ولاثعابين ولانيراناً تأجج . ولو كشفنا حاله في حالة من الأحوال لَوَجدناه لم يتغير ولوْ وَضعنا على عينيه الزئبق[١] لو جدناه على حاله وكيف يفسح مَدّ بصره أو يضيّق عليه ونحن نجده بحاله ونجد المساحه على حَدّ ماحفرناها لم يزد

(١) وعلى صدره الخَرْدَل .

ولم ينقص وكيف يتسع ذلك اللحد الضيق له والملائكة وللصورة التي تؤنّسه أوْ توحشه ؟ إنتهى السؤال وجوابه أنقله باختصار .

ثم قال ابن القيم : فصل : " الأمر الثالث " أن الله سبحانه جعل الدور ثلاثاً دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار . وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها ورَكّب هذا الإنسان من بدن ونفس وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان . والأرواح تبعاً لها . ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتّبة على مايظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه وجعل أحكام البرزخ على الأرواح . والأبدان تبعاً لها . فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألّمتْ بألمها والْتَذّتْ براحتها وكانت هي التي باشرتْ أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها . والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم . فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية . والأبدان كالقبور لها . والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها فتجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسْري إلى أبدانها نعيماً أو عذاباً كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسْري إلى أرواحها نعيماً أوعذاباً .

فأحِطْ بهذا الموْضع علماً واعرفه كما ينبغي يزيل عنك كل

إشكال يورَدُ عليك من داخل وخارج .

وقدْ ارانا الله بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجاً في الدنيا من حال النائم فإن مايُنعّم به أو يُعَذّب في نومه يجري على روحه أصلاً . والبدن تبع له وقدْ يقوى حتى يُؤثّر في البدن تأثيراً مشاهداً فيرى النائم في نومه أنه ضُرب فيصبح وأثر الضرب في جسمه . ويرى أنه قدْ أكل أوْشرب فيسْتيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه ويذهب عنه الجوع والظمأ .

وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويَضْرِب ويبْطش ويُدافِع كأنه يقظان وهو نائم لاشعور له بشيء من ذلك. وذلك أن الحكم لما جرى على الروح اسْتعانت بالبدن مِن خارجه ولوْ دخلَت فيه لاَسْتيقظ وأحَس .

فإذا كانت الروح تتألّم وتتنعّم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الإسْتِتْبَاع فهكذا في البرزخ بل أعظم فإن تجرّد الروح هنالك أكمل وأقوى وهي متعلّقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الإنقطاع . فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً بادياً أصلاً .

ومتى أعطيت هذا الموْضع حقه تبيّن لك أن ماأخبر به

الرسول من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وَضَمِّه وكونه حفرة من حفر النار أوْروضه من رياض الجنة مطابق للعقل وأنه حق لامِرْيَةَ فيه وأن مَنْ أشكل عليه ذلك فمِن سوء فهمه وقلّة علمه أُتي كما قيل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيمِ

وأعجب من ذلك أنك تجد النائمَيْن في فراش واحد وهذا روحه في النعيم ويسْتيقظ وأثر النعيم على بدنه . وهذا روحه في العذاب ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر فأمر البرزخ أعجب من ذلك .

فصل : الأمر الرابع أن الله سبحانه جعل أمر الآخره وما كان متّصلاً بها غيْباً وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار وذلك من كمال حكمته وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم . فأوّل ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريباً منه ويشاهدهم عياناً ويتحدثون عنده ومعهم الأكفان والحنوط إما من الجنة وإما من النار ويُؤَمِّنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر . وقدْ يُسَلِّمون على المحتضر ويردّ عليهم تارة بلفظه وتارة بإشارته وتارة بقلبه حيث لايتمكن من نطق ولا إشارة .

وقدْ سُمِعَ بعض المحتضرين يقول : أهلاً وسهلاً ومرحباً بهذه الوجوه . وأخبرني شيخنا عن بعض المحتضرين فلا أدري أشاهده وأخبر عنه أنه سُمِعَ وهو يقول : عليك السلام هَاهُنا فَاجْلس وعليك السلام هاهنا فاجْلس .

ثم أوْرَد ابن القيم قصة خَيْر النسّاج وعمر بن عبد العزيز عند الإحتضار وغيرهم ثم قال :

وأبلغ وأكفى من ذلك كله قول الله عز وجل : ﴿ **فلولا إذا بلغت الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون** ﴾ أي أقرب إليه بملائكتنا ورسلنا ولكنكم لاتروْنهم . فهذا أول الأمر وهو غير مرئي لنا ولامشاهَد وهو في هذه الدار .

ثم يمدّ المَلَك يده إلى الروح فيقبضها ويخاطبها والحاضرون لايروْنه ولايسمعونه ثم تَخرج فيخرج لها نور مثل شعاع الشمس ورائحة أطيب من رائحة المسك والحاضرون لايروْن ذلك ولايشمونه. ثم تصعد بين سماطِيْن من الملائكة والحاضرون لايروْنهم.

ثم تأتي الروح فتشاهد غسل البدن وتكفينه وحَمْله وتقول :

قدّموني قدموني أوْ إلى أين تذهبون بي ولايسمع الناس ذلك . فإذا وُضع في لحده وسُوِّي عليه التراب لم يحجب التراب الملائكة عن الوصول إليه بلْ لوْ نُقِرَ له حجر فَأُودِعَ فيه وخُتِمَ عليه بالرصاص لم يمنع وصول الملائكة إليه فإن هذه الأجسام الكثيفة لاتمنع خرق الأرواح لها بل الجن لايمنعها ذلك بل قدْ جعل الله سبحانه الحجارة والتراب للملائكة بمنزلة الهواء للطير .

واتّساع القبر وانْفساحه للروح بالذات والبدن تبعاً فيكون البدن في لحد أضيق من ذراع وقدْ فُسِحَ له مَدّ بصره تبعاً لروحه .

وأما عصْرة القبر حتى تختلف بعض أجزاء الموتى فلا يردّه حسّ ولاعقل ولا فطرة . ولوْ قُدِّر أن أحداً نبش عن ميت فوجد أضلاعه كما هي لم تختلف لم يمنع أن تكون قدْ عَادت إلى حالها بعد العصْرة. فليس مع الزنادقة والملاحدة إلا مجرّد تكذيب الرسول.

فصل : الأمر الخامس أن النار التي في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا من زروع الدنيا فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها وإنما هي من نار الآخرة وخضرها وهي أشد من نار

الدنيا فلا يحس به أهل الدنيا فإن الله سبحانه يُحْمي عليه ذلــك[١] ولوْ مسّها اهل الدنيا لم يحسّوا بذلك .

بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب الآخر وهذا في حفرة من حفر النار لايصل حرّها إلى جاره . وذلك في روضة من رياض الجنة لايصل رَوْحها ونعيمها إلى جاره.

وقدرة الرب تعالى أوْسع وأعجب من ذلك وقدْ أرانا الله من آيات قدرته في هذه الدار ماهو أعجب من ذلك بكثير ولكن النفوس مُولَعَة بالتكذيب بمالم تحط به علماً إلا من وفقه الله وعصمَه .

فيفرش للكافر لَوْحان من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور فإذا شاء الله سبحانه أن يُطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه وغيّبه عن غيره إذْ لَوْ أطلع العباد كلهم لزالت كلمة التكليف والإيمان بالغيب ولَمَا تَدَافن الناس كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم : " لَوْلا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يُسْمعكم من عذاب القبر ما أسمع " ولّما كانت هذه الحكمة

---

(١) التراب والحجارة التي عليه وتحته حتى يكون أعظم حراً من جمر الدنيا .

منفيّة في حق البهائم سَمِعَتْ ذلك وأدْركتْه كما حادَتْ برسول الله صلى الله عليه وسلم بغلته وكادَتْ تلقيه لما مَرّ بمن يعذب في قبره .

ثم ذكر رحمه الله أن رؤية هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن تقع أحياناً لمن شاء الله أن يريه ذلك .

ثم ذكر قصصاً فيها عبرة لمن يعتبر مما أطلع الله عليه بعض عباده من نعيم القبر وعذابه ثم قال :

فصل : الأمر السابع أن الله سبحانه وتعالى يُحْدث في هذه الدار ماهو أعجب من ذلك فهذا جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ويتمثل له رجلاً فيكلمه بكلام يسمعه ومَنْ إلى جانب النبي صلى الله عليه وسلم لايراه ولايسمعه . وكذلك غيره من الأنبياء وأحياناً يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس ولايسمعه غيره من الحاضرين . وهؤلاء الجن يتحدثون ويتكلمون بالأصوات المرتفعة بيننا ونحن لانسمعهم .

وقد كانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتضرب رقابهم وتصيح بهم والمسلمون معهم لايرونهم ولايسمعون كلامهم .

والله سبحانه قدْ حجب بني آدم عن كثير مما يحْدثه في

الأرض وهو بينهم . وقد كان جبريل يُقرىء النبي صلى الله عليه وسلم ويُدارسه القرآن والحاضرون لايسمعونه .

وكيف يَسْتنكر من يعرف الله سبحانه ويُقرّ بقدرته أن يُحدث حَواداث يصرف عنها أبصار خلقه حكمة منه ورحمة بهم لأنهم لايطيقون رؤيتها وسماعها . والعبد أضعف بصراً وسمعاً من أنْ يَثبت لمشاهدة عذاب القبر . وكثيراً ممن أشهده الله ذلك صعق وغشي عليه ولم ينتفع بالعيش زمناً . وبعضهم كُشف قناع قلبه فمات .

فكيف ينكر في الحكمة الإلهية إسْبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ذلك حتى إذا كُشف الغطاء رأوْه وشاهدوه عيانا . ثم إن العبد قادر على أن يُزيل الزئبق والخردل عن عين الميت وصدره ثم يردّه بسرعه فكيف تعجز عنه الملك وكيف لايقدر عليه من هو على كل شيء قدير ؟ وكيف يعجز قدرته عن إبقائه في عينيه وعلى صدره لايسقط عنه ؟

وهل قياس أمر البرزخ على مايشاهده الناس في الدنيا إلا محض الجهل والضلال وتكذيب أصدق الصادقين وتعجيز رب العالمين وذلك غاية الجهل والظلم .

وإذا كان أحدنا يمكنه تَوْسعة القبر عشرة أذرع ومائة ذراع وأكثر طولاً وعرضاً وعمقاً ويسْتر توسيعه عن الناس ويطْلع عليه من يشاء فكيف يعجز رب العالمين أن يوسعه مايشاء على من يشاء ويسْتر ذلك عن أعين بني آدم فيراه بنو آدم ضيّقاً وهو أوْسع شيء وأطيبه ريحاً وأعظمه إضاءة ونوراً وهم لايرون ذلك .

وسِرّ المسألة أن هذه السّعة والضيق والإضاءة والخضرة والنار ليس من جنس المعهود في هذا العالم . والله سبحانه إنما أشْهد بني آدم في هذه الدار ما كان فيها ومنها فأما ماكان من أمر الآخرة فقدْ أسبل عليه الغطاء ليكون الإقرار به والإيمان سبباً لسعادتهم فإذا كشف عنهم الغطاء صار عياناً مشاهداً فلوْ كان الميت بين الناس موضوعاً لم يمتنع أن يأتيه الملكان ويسْألانه من غير أن يشعر الحاضرون بذلك ويجيبهما من غير أن يسمعوا كلامه ويضربانه من غير أن يشاهد الحاضرون ضربه . وهذا الواحد منا ينام إلى جنب صاحبه فيعذب في النوم ويُضرب ويألم وليس عند المسْتيقظ خبر من ذلك البتّه وقدْ سرى أثر الضرب والألم إلى جسده .

ومن أعظم الجهل استبعاد شق الملَك الأرض والحجر وقد جعلهما الله سبحانه له كالهواء للطير . ولايلزم من حجبها

للأجسام الكثيفة أن تتولّج حجبها للأرواح اللطيفه . وهل هذا إلا من أفسد القياس ؟ وبهذا وأمثاله كُذِّبَتْ الرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

فصل : الأمر التاسع : أنه ينبغي أنْ يُعلم أن عذاب القبر ونعيمه إسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو مابين الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾ وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة . وسُمِّي عذاب القبر ونعيمه وأنه روضة أوحفرة نار بِاعْتبار غالب الخلق . فالمصلوب والحريق والغريق وأكيل السّباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسْطه الذي تقتضيه أعماله وإنْ تنوّعتْ أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما . فقدْ ظنّ بعض الأوائل أنه إذا حُرِّق جسده بالنار وصار رماداً وذري بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك فأوْصى بنيه أن يفعلوا به ذلك . فأمر الله البحر فجمع مافيه وأمر البرّ فجمع مافيه ثم قال : قم . فإذا هو قائم بين يدي الله . فسأله : ماحملك على مافعلت ؟ فقال : خشيتك يارب وأنت أعلم . فما تلافاه أنْ رحمه . فلم يفتْ عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال .

حتى لوْ عُلِّق الميت على رؤوس الأشجار في مهاب الرياح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه . ولوْ دُفِن الرجل الصالح في أتون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه فيجعل الله النار على هذا برداً وسلاماً . والهواء على ذلك ناراً وسَموماً .

فعناصر العالَم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها يصرّفها كيف يشاء ولا يسْتعصي عليه منها شيء أراده بل هي طَوْع مشيئته مذلّلة منقاده لقدرته . ومَن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين وكفر به وأنكر ربوبيته . إنتهى باختصار . والحمد لله رب العالمين .

كتبه / عبد الكريم بن صالح الحميد

١٤١٩هجريه

المحتويات